الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
.....
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
.....
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
.....
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
.....
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib
.....
Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales
.....
Département langue et lettre arabe

اهتمامات إسماعيل العربي بأدب الرحلات

دراسة كتاب تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص أدب جزائري

- إعداد
- الطالبة: خديجة كفيف

- إشراف

الدكتورعيسى بخيتي

لجنـــــة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
حبيـــب بوسغـــادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	رئيسا
عيســـى بخيتـــــي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عين تموشنت	مشرفا ومقررا
جـــــلال مصطفـاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022 / 2023

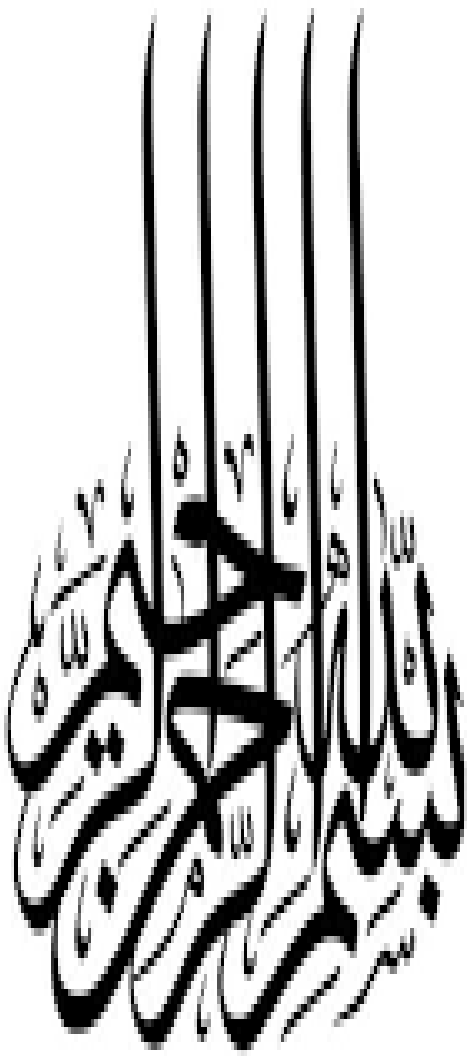

شكر و عرفان

أحمد الله على نعمه التي لا تقدر ولا تحصى ومنها توفيقه تعالى على إتمام هذا العمل

واتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير للأستاذ المشرف

– الاستاذ عيسى بخيتي –

الذي تشرفت بقبوله الاشراف على مذكرتي وعلى دعمه وتوجيهاته القيمة، فجزاه الله خير الجزاء

كما يسرني أن أوجه أسمي آيات التقدير الى أساتذتنا الكرام على مدى سنوات التحصيل الجامعي، من تيسيرهم لنا المادة العلمية.

وادعوا الله العلي القدير أن يجعله في ميزان حسناتهم يوم القيامة، وبارك الله فيهم ورفع بين الصالحين درجاتهم.

إهداء

الى امي بصمت

لان صمت الكلمات ابلغ امام فيض فضلها

الى من لا يشوبه خوف الى سند لا يهتز الى رجل دون كل الرجال ابي الغالي ومن كابي.

واهدي الزرع لمن زرع اليكما جدي وجدتي لولا بذرتكما الطيبة التي ما فتئت تذكو فينا لما اشتدت اغصاننا

الى نعيم الدنيا وظهري للمات أخواي سكر الحياة الى كبيرنا وحبيبنا الى مهدي الى أصغرنا والاقرب الى قلوبنا الفاروق

الى من يستحي ياسمين الدنيا من جمالها ولا يليق بجمال عينيها سوى الغزل ريحانة الدار وعبقها اختي سامية

الى أجمل فرد أنضم الى عائلتي الى روح اختلفت بكل تفاصيلها عن البقية

زوجة اخي نائلة

الى ياسر ومعاذ لكما حب أوسع من الفضاء

الى أحبة كثيرين تحملهم ذاكرتي ولم يتسع المقام لذكرهم

المقدمة

الحمد لله لا إله سواه نحمده حمدا كثيرا، وطيبا مباركا فيه ونعود بالله من شرور أنفسنا، وسيئات اعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكريم خاتم النبيين والمرسلين، من كان رحمة للعالمين وعلى أله وصحبه تسليما كثيرا.

اهتمت الدراسات العلمية والنقدية في عالمنا العربي خاصة والغربي عامة بدراسة فنون الادب المتباينة من قصة طويلة كانت او قصيرة او شعر او مقالة، وما كان هناك لون ادبي لم يحظ الا بالقليل من الدراسات على الرغم من انه شهد عددا كبيرا من التأليف الا وهو

" ادب الرحلة " الا وهو فن نثري اتخذ من الرحلة موضوعا اذ تعتبر من دعائم الفكر العربي في العصور السالفة ولازالت قائمة الى حد يومنا هذا.

كان للرحالة العرب وغيرهم خدمة نبيلة لأجيال قادمة اذ أسهموا في نقل الكثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لكثير، من البلدان وطبيعتها الجغرافية وتقاليدها وعاداتها وتاريخها فكان لهم دور كبير في نقل ثقافات الشعوب الأخرى، والاهتمام بها ولفت نظر المهتمين من العلماء وطلبة العلم على زيارة تلك البلدان للأخذ من علمها ومعرفتها.

تضم كتب الرحلة الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية. وهذا ما يدونه الرحال من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة، وبالنفس وبالناس والحياة أي انه ينقل ما يراه ليضعه بين ايدي الجغرافيين وعلماء الاجتماع ودارسي الادب.

اما فيما يخص الوصف فهو اهم ميزة في محتوى الرحلة على اتم وجه فهو ذلك التصوير للعالم الخارجي او الداخلي، ووظيفته تكمن في خلق البيئة التي تجري فيها احداث القصة وتكوينها، ولا يجوز للقاص او الرحالة ان يتخذ من الوصف مادة للزينة، وانما يوظفه في بناء الحدث متبعا المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي.

ولعل الحافز القوي الذي جعلني انتقي موضوع الرحلة من بين الفنون الأدبية هو ذلك الفضول الشديد لمعرفة خبايا واسرار الرحلات، وما تحمله من مغامرات وعادات وتقاليد. وهذا الموضوع الشيق الملفت للانتباه جذبني ليكون موضوع مذكرة تخرجي حيث قمت باستقصاء بعض المعلومات ولم تكن بالكم الكبير الا اننا نحمد الله على كل شيء

ما هو ادب الرحلة وما المجهودات التي قام بها المؤرخ الجزائري إسماعيل العربي للتعريف بهذا الادب؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التي انقسمت الى مدخل عام تطرقت فيه الى مفهوم الرحلة بصفة عامة ثم قمت بتحديد بعض المفاهيم المتعلقة بالرحلة ,ومفهومها لغة واصطلاحا وحددت نشأتها وانواعها التي اختلفت حسب اختلاف الغاية منها ,ودوافعها واقسامها ومكانتها في القران والسنة النبوية ,ثم تطرقت الى ادب الرحلة في العالم بما فيه من رحالة مشاهير وعرب .

اما الفصل الاول فأوله مدخل درست فيه شخص إسماعيل العربي بتحديد حياته منذ ولادته حتى مماته ولم انسى اعماله طبعا وبعده كان دراسة حول كتاب إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر والبحر و اما الفصل التاني كان عن اهتمامات إسماعيل العربي العربية و الغربية ثم توضيح لتداخل ادب الرحلة مع الاجناس الأخرى (الانتربولوجيا الاثنوغرافيا الطوبونيميا)

ومن جملة المصادر والمراجع اعتمدت على كتاب إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر و كذا رواد المدرسة التاريخية الجزائرية

بالإضافة الى مراجع الا وهي ادب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل, وسميرة نساعد في الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري والرحلات الحجازية وشوقي ضيف في الرحلات إضافة الى مراجع أخرى واجهتني صعوبات عدة منها قلة المصادر والمراجع, قلة الوقت وضيقه وعدم الالمام بجميع جوانب الموضوع اقل ما يمكن ان يصيبنا منه التوتر والضغط. وفي الأخير لا يسعني الا ان أتوجه الى المولى بالدعاء ان أكون وفقت فيما قدمت. واخص بالذكر الأستاذ المشرف لما له من فضل التوجيه والاشراف ومتابعته لهذا البحث خطوة بخطوة فلولا ملاحظاته لما ظهر البحث في ثوبه هذا والله الموفق.

الطالبة خديجة كفيف

عين تموشنت في 2023/08/25

المدخل

الرحلة مفهومها وتحولاتها الفنية

- **تعريف الرحلة :**

لا شك ان تعريف الرحلة سيكون صعبا مثل تعريف أي جنس ادبي اخر. كالشعر والرواية نظرا لتعدد مضامينها، واساليبها ولتداخلها مع خطابات أخرى. فالرحلة تشبه فناء بيت تنفتح فيه غرف متعددة الجغرافيا والتاريخ، والتصوف والادب والسيرة الذاتية، والتراجم والحكايات والرسائل والكرامات والشعر ... وهذا كله يؤدي الى صعوبة القبض على تعريف يجمع في حده زخم الخصوصيات والتنويعات في نصوص الرحلة العربية.

- **الرحلة لغة :**

جاء في مقاييس اللغة مادة (رحل)"الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر "يكون جمع رحلة رحلات لغير المصدر ورحالون صيغة مبالغة من رحل.[1]

كما عرفها ابن منظور بقوله:" الرحلة بمعنى اسم للارتحال يقال رحل الرجل إذا سار ورجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا "[2]كما أشار اليها ب " الرحلة السفرة الواحدة "[3]ربما اعتبرها سفرة واحدة كون الأولى تكون فريدة من نوعها، انتقاله جديدة في حياة الرحالة ولو تكررت لن تطبع نفس الإحساس في أنفسهم.

ولا يخالفه الراي بطرس البستاني في معجمه " محيط المحيط " في قوله "رحل عن البلد يرحل رحلا ورحيلا وترحالا "[4] ومن هذه الأفعال يأتي اسم الرحلة فيعرفها ب " الرحلة نوع من الرحيل يقال رحل فلان رحلة من لا يعود وعند المولديين قصة يكتبها المسافر عما جرى له وما رأى في سفره إذن هي الانتقال وقد بين مفهوما اخرا عندما أوضح انها قصة يكتبها المسافر لينقل ما حدث له وما شاهده في رحلته.

وأصحاب المعجم الوسيط ذكروا عدة معن من بينها" رحل عن المكان رحلا ورحيلا و ترحالا ورحلة سار ومضى والبعير رحلا ورحلة جعل عليه الرحل، فهو مرحل ورحيل وعلاه وركبه ويقال رحل فلان بمكروه ورحله بسيفه علاه به وفي الحديث (لتكفن عن شتمه او لا ارحلنك بسيفي)، وله نفسه صبر على اذاه (ارحل) فلان

[1]ابن فارس معجم مقاييس اللغة تحقيق غبد السلام هارون ج 2 ط 1 دار الجبل بيروت 1991 صفحة 489

[2]ابن منظور لسان العرب مج 3 ج 18 دار المعارف القاهرة صفحة 16092

[3]نفس المصدر صفحة 16093

[4]فيروز ابادي-قاموس المحيط ضبط وتوثيق يوسف لشيخ محمد البقاعي دار الفكر بيروت 2008 ص 904

كثرت رحلاته فهو مرحل والإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة، وفلانا جعله يرحل والإبل راضها حتى صارت رواحل، وفلانا أعطاه راحلة (الرحال) صانع الرحل (الرحال) العرب الرحال.

الذين لا يستقرون في مكان ويجعلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى (الرحالة) كثير الرحلة (والتاء للمبالغة) (الرحل) العرب الرحل الرحال (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره ومسكن الانسان .

وما يستصحب من الأثاث وفي الحديث (اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال) جمع ارحل ورحال ويقال حط فلان رحله والقى رحله اقام (الرحلة) الارتحال جمع رحل وفي التنزيل العزيز) رحلة الشتاء والصيف (وكتاب يصف فيه الرحالة ما رأى وبعير ذو رحلة ذو قوة على السير (الرحلة) ما يرتحل اليه يقال الكعبة رحلة المسلمين وانتم رحلتي وعالم رحلة يرتحل اليه من الافاق ويعبر ذو رحلة قوة على السير (الرحول) كثير الارتحال والراحلة ".[1]

وقال فيروز ايادي "الرحلة بالضم والكسر او بالكسر والارتحال وبالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة والرحيل كأمير اسم ارتحال القوم ومنزل بين مكة والبصرة وراحيل ام يوسف عليه السلام ورحلة هضبة وارحل كثرت رواحيله والبعير قوي ظهره بعد ضعف والإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة وفلانا أعطاه راحلة ورحل كمنع انتقل ورحلته ترحيلا فهو راحل من رحل كركع وفلانا بسيفه ".[2]

وقالت عواطف محمد يوسف نواب " الشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل الى مكان اخر وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار اليها " لذا كان لفظ الرحلة اعم واشمل ما يطلق على المسافر من مكان الى اخر فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة ".[3]

اما معجم مصطلحات الادب فلم يعرض صاحبه مجدي وهبة للرحلة باي وجه من الوجوه واكتفى فقط بإشارة مقتضبة عن الرحلة الخيالية.

---

[1] معجم الوسيط إبراهيم مصطفى احمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار دار الدعوة صفحة 334-335

[2] القاموس المحيط لمحي الدين محمد بن يعقوب الفيروز ايادي دار الجبل بيروت ج 2 صفحة 3942

[3] الرحلات المغربية والاندلسية دراسة تحليلية مقارنة لعواطف محمد يوسف نواب مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 1996 صفحة 41

للفظ الرحلة معان كثيرة فقد جاءت بمعنى السير والترحال والوجهة او المقصد الذي يراد السفر اليه وتطلق على من انتقل من مكان لآخر ومنها أخذ لفظ رحال الا وهو الشخص المتنقل" فمادة " رحل " تدل كلها على الحركة لان الرحلة في الحقيقة ماهي الا حركة وانتقال تبعث في الانسان الحيوية والنشاط وتعود عليه بمنافع عدة في مختلف مجالاته .

- **الرحلة اصطلاحا** :

الرحلة "سلوك انساني حضاري يأتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها"[1],فالرحلة العربية كانت لها ثمار إيجابية على الحضارة العربية الإسلامية فهي تعد نقطة تحول في كامل الامة وفي جميع المجالات وذلك من خلال احتكاكهم بالشعوب الأخرى ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم ومختلف فنونهم فهي " اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب واقواما الى اقوام تفصل بينها البحار القفار "[2].

ويرى عبد الله حمادي " ان الرحلة سواء كانت برية او بحرية او كانت من انجاز فردي او جماعي تعتبر محاولة لاختراق حاجز المسافات واسقاط الفاصل الجغرافي بين المكان والزمان "[3] فقد عرفها على انها اختراق ومحاولة معرفة الاخرين لتقريب المسافات مهما بعدت.

وعليه نستنتج ان الرحلة هي بوصلة القارئ في متاهات المجهول من البلدان والاجناس ذات طابع قصصي يحمل فائدة للمؤرخ والباحث الجغرافي وعالم الاجتماع وهي ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع واكتشاف المعالم والاقطار ووصفها والحكم عليها فهي اذن وصف لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتأزر في ذلك الواقع والخيال وأسلوب القص والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها .

احتلت الرحلة مكانة متميزة في التراث العربي من طرف الباحثين والدارسين على حد سواء وكرست لها مجهودات كبيرة في سبيل معرفة أصولها والكشف عن اسرارها وبغض النظر عن كونها لون ادبي ذو فائدة للباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم فهي في الوقت نفسه تمثل المتعة التي

---

[1] فؤاد قنديل ادب الرحلة في التراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب صفحة 22

[2] نفس المصدر

[3] دكتور عبد الحمادي أصوات من الادب الجزائري الحديث دار البعث قسنطينة 108

استهوت اذهان القراء والباحثين فالرحلة اذن ليست سوى تجربة إنسانية حية يتمرس بها حيث اصبح اكثر فهما واصدق ملاحظة واغنى ثقافة واعمق تأملا .

- **نشأة الرحلة وتطورها :**

تعتبر رحلة ادم وحواء أقدم رحلة وذلك بانتقالهما من الجنة الى الأرض اما فيما يخص التدوين ،او التسجيل فكان بعد مضيها بقرون اذ يقول شوقي ضيف :" ان اول رحلة في التاريخ العربي الإسلامي هي رحلة فتوحات العرب الكبرى "[1] لتعدد علاقاتهم مع العديد من البلدان العربية والاوربية وذلك بعد خروجهم من جزيرتهم ,كما أشار حسين محمد فهيم الى قدم الرحلة اذ قال :"انها قديمة قدم زمان الانسان ذاته " [2] اذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا وان اختلفت دوافع الرحيل وتباينت وسائل السفر وتنوعت مادة الرحالة ...كما تصف الكثير عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا اليها واحوال الشعوب.

- **الرحلة في العالم :**

غني عن البيان والتذكير بان فن الرحلة كباقي الفنون الأدبية بدا بداية موسوعية مرتبطا بالجغرافيا والتاريخ ثم صار ادبا قائما بذاته عرفت أمم عدة مثل الفراعنة والفنيقين ,فالتاريخ يحدثنا "ان المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد رحلات متعددة بالبر والبحر الى بلاد بنت (ساحل الصومال) وان الملكة جهزت حملة الى هذه البلاد عام 1945 قبل الميلاد سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الأحمر وان النقوش البارزة في الدير البحري بمصر تخبرنا كيف سيرت هذه السفن وكيف استقبلت المصريين وكيف عادوا "[3]

اما الشعب الفينيقي "فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافئ بحر الروم وشواطئ اوروبا الغربية وخاض عباب المحيط الأطلسي واكتشف البعض سواحل افريقية غربية ووصل الى أمريكا وقد سجلت رحلاته هذه في مصنفين اثنين هما رحلة جنون " القرطاجي " حول

[1] شوقي ضيف الرحلات فنون الادب العربي الفن القصصي دار المعارف ط 4 ص 7

[2] محمد حسين فهمي ادب الرحلات ص 182

[3] احمد أبو سعد ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي ط منشورات دار الشروق الجديد بيروت ديسمبر 1961 صفحة07

القارة الافريقية ورحلة " عملاقون " الى سواحل أوروبا الغربية "1. ومن بعدهم جاء الاغريق اين نجد " هيرودوت " الذي استقى من رحلاته الطويلة العريضة في بلاد الاغريق مسحا وصفيا شاملا لها ومن ثم استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ عام قبل الميلاد ولم يسع الى الوصف التفصيلي لرحلاته بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي انشات علم الجغرافيا "[2] ثم الرومان الذين " غدوا السير في الافاق يضربون في ارجاء الإمبراطورية الواسعة حتى وصلوا الى جزر كناري وطافوا بدولتهم في افريقيا واسيا وبلغوا الهند والشرق الأقصى "[3] ليأتي بعدها في العصر الوسيط ماركو بولو حيث اشتهر برحلاته صوب الشرق حتى بلاد الصين وعند عودته كانت له عديد من الروايات والاحداث عن عالم جديد مختلف تماما عن العالم الذي كان يعيش فيه .

اما عن القرن الخامس عشر ميلادي اكتشف هنري المعروف بالملاح اقساما مجهولة من الشاطئ الافريقي سنة ووصل " بارتولو ميودياز سنة الى راس الأعاصير في الطرف الجنوبي من القارة الافريقية ,وبعده " فاسكو دا جاما و"كريستوف كولومبس" سنة و "فرديناند ماجلان " الذين اشتهروا كرواد لرحلات بحرية حيث اتجه فيها " داجاما " سنة من الشمال الى الجنوب بينما قصد كولومبس وماجلان سنة صوب الغرب البعيد عبر المحيط الأطلسي بمجهول السعة والابعاد حينذاك ",فانتشر فن الرحلات وكثرت اعمال الرحالة " مرورا بالسجلات الكشفية التي قام بها " انسون وكوك في القرن الثامن عشر ووصولا الى الاعمال الموسوعية التي قام بها شركاء كثيرون في البعثات العلمية الشهيرة منذ أيام هامبولت ",وفي هذه الاثناء ظهرت الرحلة الشاعرية وهو ما نراه عند "" غيته " في رحلته الإيطالية وعند كتابات شاتوربيانو جورج بورو وهانريخ بورو وهانريخ بارث سير ريتشارد بيرتون فريتوف نانسين وسفن هيدين "وهكذا نرى ان الرحلة عرفت اقبالا كبيرا عند الغرب فقد اندفعوا الى السير في ارض الله تعالى داخلها وخارجها فقد وصلوا حتى الى القمر سنة ونحو الكواكب الشمسية التي أطلق عليها اليوم الرحلات الفضائية .

- **الرحلة عند العرب :**

---

[1] المصدر نفسه صفحة 8

[2] نبيل راغب فنون الادب العالمي صفحة 24

[3] احمد أبو السعد ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي صفحة 102

" وما نعود اليه في نشأة الرحلة عند العرب كتب الاحاديث عن هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم –الى المدينة المنورة وهجرة أصحابه الى الحبشة وهجرته أيضا الى الملوك والسلاطين فقد كان للعرب والمسلمين الفضل في فتح العديد من البلدان خلال رحلاتهم المتعددة فكانت رحلتهم الأولى بحرا وذلك لان الجزيرة العربية كانت محاطة بالبحار الا ان آنذاك لم تدون رحلاتهم ولم تسجل لحد القرن الثالث هجري الموافق للقرن التاسع ميلادي فاتسمت مؤلفاتهم بالصيغة الجغرافية والتاريخية واهم من يمثلهم" ابن خردانية" من خلال كتابه " المسالك والممالك " ويليه في التأليف للرحلات جماعة من المعاصرين أمثال " احمد بن جعفر اليعقوبي " في كتابه " البلدان " و"السعودي "في كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ثم "ابن حوقل "في كتابه "صورة الأرض" ويؤلف بعدهما محمد المقداسي كتابه "احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " واعتبره اكثر الباحثين والمستثمرين خاصة من اكبر الجغرافيين العرب اذاك حيث يدخل في صف الرحلات الجغرافية عدد كبير من المؤلفات التي تناولها المشارقة والمغاربة في ازمنة مختلفة "[1].

" واهم رحلتين جغرافيتين هما " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " لابي عبد الله محمد الادريسي (493 هجري – 560 هجري _ 1100 م – 1065 م) بالإضافة الى مصنفات أخرى له مثل " روض الفرج ونزهة المهج " ويعد الادريسي اكبر جغرافي في بلاد المغرب والاندلس "[2].

"عرفت الرحلة العربية ابتداء من أواخر القرن السادس هجري تحولا في اتجاه الكتابة من خلال جغرافية البلدان واثارها الحضارية ثم الاهتمام بيوميات الرحالة وذكر لكثير من خصوصياته من مشاعره وافكاره وانتقاداته إضافة الى التحول في الطابع الاسلوبي للكتابة اذ أصبح أسلوبا سردي قصصي يتسم بالبساطة والسلاسة وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي الى الطابع الادبي " [3].واهم من مثل هذا الاتجاه الرحالة الاندلسي" محمد بن جبير" في رحلته المسماة "تذكار الاخبار عن اتفاقات الاسفار" التي وصفها " حسني محمود حسين " ان هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ او جغرافي او اديب أراد ان يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي وقد رفع بها

[1] ينظر سميرة انساعد الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري دار الهدى د ط 2009 صفحة 39 -411

[2] ينظر خضر موسى محمد حمود ادب الرحلات واشهر اعلام العرب ونتاجهم دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 2011 صفحة 78

[3] ينظر سميرة انساعد المرجع السابق صفحة 42-43

صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية الى درجة عالية " [1] حيث ان رحلة ابن جبير جلبت في جعبتها معلومات لا تعد ولا تحصى كما انه التزم بها الجغرافي والمؤرخ والاديب الذي يريد ان يعرف أحوال الشرق الإسلامي في هذه الفترة ومن الذين استفادوا من رحلته بموضوعها وصياغتها "علي بن سعيد الاندلسي" مؤلف كتاب " المشرف في حلي المشرق " و "محمد العبداري" صاحب الرحلة المغربية و"ابن رشد السبتي الاندلسي " مؤلف "مرء العيبة فيما جمع بطول الغيبة "[2].

" والظاهر من خلال رحلات العرب و المسلمين المتنوعة نحو دول الغرب خلال العصر الحديث حيث هناك عدة مؤلفات وصف فيها الرحالون العرب انطباعاتهم وآرائهم كما نقلوا ما طالعوه من كتب الغربيين الفكرية والأدبية ما جعل هذه المؤلفات تلعب دورا فعالا في التعريف بالحضارة الغربية واثراء الحضارة العربية من خلال الا فكار والمبادئ "[3].

- **الرحلة في القران الكريم :**

حث الإسلام على الرحلة وشجع الناس عليها وتبدو عنايته بالرحلة من خلال ذكر قصة او معنى لها الا ان لفظها ورد مرة واحدة في سورة قريش

يقول سبحانه وتعالى :

﴿"لِّإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (1) اِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَالصَّيْفِۖ (2) فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (3) ﴾[4]

فأشار القران الكريم الى رحلة قريش التي كانت قبل مجيء الإسلام حيث كانوا يرتحلون في العام مرتين مرة في الشتاء وأخرى في الصيف لتامين الاكل والاستقرار

كما نجد آيات وأحاديث تدعو للتأمل والتدبر في خلق الله

اذ يقول تعالى:

﴿" قُلْ سِيرُواْ فِے ٱلَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۖ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِے ٔٗ ٱلنَّشْأَةَ ٱلَاخِرَةَۖ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِير﴾5 كذلك دعا الى اكتساب المعيشة والبحث عن أسباب الرزق الحلال في قوله تعالى :

---

[1] سميرة انساعد الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري دار الهدى الجزائر د ط 2009 صفحة 441

[2] ينظر محمد مصطفى زيادة مقدمة لرحلة ابن جبير دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان د طدت صفحة 6

[3] سميرة انساعد المرجع السابق صفحة 44 -453

[4] سورة قريش

[5] سورة العنكبوت 20

﴿"هُوَ ٱلَّذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِے مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1]

وفي قوله تعالى :"

﴿"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "[2].

وهاهنا ارتبطت الرحلة بأخذ العبرة من أحوال الأمم السابقة

وقال سبحانه :

﴿"وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 27 لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [3]

فالحج إذا فريضة على كل مسلم ما استطاع اليه سبيلا وقد اقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة وقد بين لهم الوسائل فمثلا كلمة الفلك ترددت في عدة آيات مما يدل على ان العرب كانوا على علم بها لأنهم صنعوا السفن وأبحروا

﴿" رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[4]

﴿"ان من خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾[5]

﴿" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الملك اية15

[2] سورة الروم اية9

[3] سورة الحج الآية 27

[4] سورة الاسراء الآية 66

[5] سورة البقرة الآية 164

[6] سورة إبراهيم الآية 32

قال تعالى :

﴿" وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1]

﴿" وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[2]

وآيات تذكر مجاهل البحر والبر التي يعرف العرب جانبا من ظلماتها والبعض يخشونها

﴿" أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]

ودكرت مفردات كثيرة دالة على الرحلة والتنقل في القران الكريم وكان منها الظعن والاسراء والسفر والحج والسير فجاءت كلمة ظعن مرة واحدة في سورة النحل

في قوله تعالى :

﴿" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [4]

وكلمة أسرى او اسراء في سورة الانفال وفي سورة الاسراء ووردت كلمة سفر في القران الكريم اثنتي عشر مرة اما لفظ الهجرة ورد 27 مرة وتكررت وكلمة الحج ومشتقاتها خمسا وعشرين مرة

وهكذا وجه الله دعوات صريحة الى المسلمين للسعي في الأرض والسير والتنقل للانتفاع من الصيد والتجارة وتشجيعا لهم لنشر الدعوة وتبليغ الخلق ولن يكون ذلك الا بالسفر والترحال

اما إذا عرجنا الى السنة النبوية الشريفة نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع أصحابه على الرحلة ويحثهم عليها بهدف طلب العلم ونشر الإسلام ونذكر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة "[5]

---

[1] سورة فاطر الآية 121

[2] سورة يس الآية 41

[3] سورة النمل الاية63

[4] سورة النحل الآية 80

[5] فؤاد قنديل ادب الرحلة في التراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب ص 32

وقال صلى الله عليه وسلم " من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " [1]

وكانت اشهر الرحلات في زمن الرسول رحلة الاسراء والمعراج فتعتبر حادثة الاسراء والمعراج ثابتة في القران الكريم فقد سيره ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وقال المفسرون وانما قال ليلا لتقليل مدة الاسراء وانه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين

وقد ارتبطت هذه الرحلة بهدف رؤية آيات الله تعالى والوقوف عليه

اما الهجرة الأولى فهي اول رحلة في الإسلام لأجل الدين قام بها جماعة من الصحابة الى الحبشة بأمر من الرسول صلي الله عليه وسلم بترك ارض المشركين وكان اميرهم جعفر بن ابي طالب والهجرة الثانية أي هجرة الرسول وصديقه ابي بكر الصديق من مكة للمدينة المنورة قصد نشر الدين الإسلامي ويوجد أيضا رحلة ابي ذر الغفاري لفهم تعاليم الإسلام وتعتبر من أولى الرحلات في زمن نبينا قبل هجرته وغرضها تعليم أسس الدعوة الإسلامية وهذه الرحلة الى مكة المكرمة وقت مبعثه للثبيت مما يدعو اليه ورحلة مصعب بن عمير الى المدينة حدثت في بداية الدعوة الإسلامية وبعد بيعة العقبة الأولى الى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليقرئهم القران ويعلمهم الإسلام وبعد فتح مكة وجد نوع اخر من الرحلات للاستعلام عن احكام الشريعة كرحلة عقبة بن الحارث للمدينة قصد معرفة حكم عن الرضاعة

من خلال تحديدنا لمفهوم الرحلة في القران الكريم والسنة النبوية استنتجنا ان هذا النشاط ارتبط بدوافع نفعية كثيرة منها التجارة والبحث عن سبيل العيش او مشاهدة آيات الله والتدبر فيها ومن امثلة الرحلات في زمن الرسول نلاحظ انها كانت اما لتبليغ دعوة الإسلام واما لمعرفة حكم من احكام الشريعة

- **أنواع الرحلات** :

عين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة ثلاثة ظهرت قبل الإسلام وهي رحلة الحج ورحلة الحرب ورحلة السفارة وذلك نظرا لتعدد الأغراض والدوافع والغايات التي تقام من اجلها

رحلة الحج : وكان الغرض منها الترحال والسفر بغرض كسب القوت والمعيشة والتعرف على البلدان المجاورة وعلى عاداتها وتقاليدها

[1] نفس المرجع

رحلة الحرب :كانت في خدمة العمل العسكري وقد جهزت هذه الرحلة واعدت لكي تطارد العدوان وتطرده وتدعم الامن

رحلة السفارة: طبقتها النظم الحاكمة لكي تنقل الرسائل من مكان لأخر بعناية فائقة وكانت في بعض الأحيان تنقل الرسائل المكتوبة الى رسائل شفوية وهي تعليمات من الحاكم الى عماله في الإقليم كما كانت تنتقل هذه الرسائل من حاكم في دولة ما الى حاكم في دولة أخرى " [1]

وبمجيء الإسلام أضاف ثلاث أنواع تمثلت هذه الإضافة في تلبي حاجيات الناس التي كانت لها أهمية في استمرار الحياة وبمعطيات إسلامية جديدة

رحلة الحج :تغير الغرض من السفر والتجوال قبل الإسلام الى اعتباره فريضة دينية اذ هو ركن من اركان الإسلام وكان الغرض من هذه الرحلة تلبية نداء الله سبحانه لاداء الحج وزيارة بيت الله الحرام

رحلة طلب العلم :تعددت بتعدد أنواعها فكان الغرض منها او الغرض أداء المناسك او الفريضة او الجهاد او الرباط في سبيل الله والسفر بقصد العبرة

رحاة التجوال: والطواف فلا يمكن ان نستقل بذاتها لأنها مضمونة في الرحلات السابقة جميعا فقد يكون هذا المتجول محاربا او تاجرا او عالما يخرج من اجل التجوال كهدف كان خروجه استجابة لدافع ذاتي [2]

الا ان هناك أنواع أكثر شيوعا لم يذكرها تمثلت في

- **الرحلات العلمية:**

[1] ا صلاح الدين علي الشامي الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافيا الميدانية منشاة المعارف الإسكندرية 1999ص 63 والدراسة

[2] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي الرحلة في الإسلام مكتبة الدار العربية للكتاب ص 252

ان اولى القصص التي تحدثت عن الرحلة العلمية جاءت في القران الكريم عن رحلة موسى عليه السلام ولقائه الرجل الصالح الخضر عليه السلام واصطحابه لغرض التعلم لقوله تعالى

" قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا "[1]

ومن أشهر أنواع الرحلات وأكثرها شيوعا كما جاء في كتاب الرحلات للشيخ محمد الخضر حسين ان الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرقي الا نبه عليها وحث على العمل بها وهذا شانه في الرحلة فقد دعا اليها لأغراض سامية منها طلب العلم والفقه ومن الأغراض التي عالجتها تلك الرحلات هي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية والحاضرة والتخلص من الضلال الى الإقامة في دار العدل والهداية [2]

- **الرحلات الدينية :**

ومن أشهر مقاصدها الهجرة أي الخروج من دائرة الحرب الى دائرة السلام والخروج من ارض البدعة او الأرض التي غاب عليها الحرام طلبا للحلال الذي غاب وكاد ينعدم على ارض البشرية وأصبح الافراد يعيشون تحت قانون الغاب والفرار من الأذية في البدن او الحال" [3]ومن أشهر رحلات هذا النوع رحلات الحج والعمرة وكان للحكام والامراء الفضل في تسيير الرحلة الى الحجاز فكان الدافع من وراء هذه الرحلات هو أداء الفريضة إضافة الى زيارة مواقع أخرى والتعرف عليها "[4]

- **الرحلات الاقتصادية :**

كانت التجارة عند العرب منذ القديم خاصة بعدما تطورت الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي اذ يتعدى نطاق التجارة الى دول أخرى وقد يرتحل الانسان لغرض العمل وممارسة بعض المهن او لغرض اعانات من دول شقيقة والتخلص من ديون عالقة وغيرها من الأسباب المرتبطة بطرق الكسب الاقتصادي "[5] لقوله تعالى:

---

[1] سورة الكهف الآية 60

[2] سميرة انساعد الرحلة الى المشرق ص 244

[3] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي الرحلة في الإسلام ص 24

[4] سميرة انساعد الرحلة في المشرق ص 27- 28

[5] ينظر المرجع نفسه ص 293

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [1]

- **الرحلات الرسمية :**

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية اثر في ظهور هذا النوع المتميز من الرحلة من الحكام والامراء فضمت كل من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية وهي خاصة بدوافع عديدة منها تفقد أمور الرعية او معاينة أماكن مجهولة او بعيدة او لتحقيق المزيد من المحاولات لاكتشاف الذات الإنسانية ولتوحيد البشر فالله سبحانه وتعالى عندما انزل ادم وحواء الى الأرض لم ينزلهما منزلا واحدا ليبحث كل منهما عن الاخر ويلتقيا في اخر المطاف والشعوب لم تختلف في موضع واحد لكن الله فرقها وبث بينهما المسافات وغرس في النفوس فطرة السعي للتعارف والتنقل "[2]

- **أغراض الرحلة :**

تتعدد الدوافع التي تحمس الانسان للرحلات وتختلف من شخص لأخر الا ان اغلبها جمعت في

- **دوافع دينية :**

" كان يرتحل للحج الى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتطهيرا للنفوس من دنس الذنوب واملا في المغفرة ومن قبل ذلك التبشير بالدين وزيارة المقابر

- **دوافع علمية :**

وقد كانت بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم ذاع صيت ابناءها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها وتذكر كتب الحديث والسير ان من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع بها او لمجرد التحقق من كلمة فيه وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي والاحنف العكبري الشاعر"

---

[1] سورة البقرة الآية 198

[2] فؤاد قنديل ادب الرحلة في التراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب ص245

- **دوافع سياسية:**

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك الى ملوك أخرى لتوطيد العلاقات وتبادل الآراء او للنقاش حول شؤن حرب او السلام

- **دوافع سياحية وثقافية:**

ترتبط عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر [1]

- **دوافع اقتصادية:**

تمثلت في التجارة وتبادل السلع او لفتح أسواق وشركات جديدة وقد تكون هربا من غلاء المعيشة وسعيا وراء اليسر والعمل.

- **دوافع صحية :**

كالسفر للعلاج او الاستجمام واراحة النفس من العناء والتفكير وتخليصها من الهموم بالارتحال للمناطق الطبيعية وقد يكون فرارا من وباء او جو غير مناسب "

تعددت الأغراض من رحلة الى أخرى الى انها اتفقت في امر واحد الا وهو المنفعة على الفرد والجماعة فليس الشخص هو نفسه بعد الرحلة نفسيا وفكريا وحتى ماديا ان كانت للتجارة او للربح [2]

- **قيمة الرحلة وفوائدها:**

لم يدع الإسلام وسيلة من وسائل الرقي الا ونبهنا اليها ودعانا الى العمل بها وتدخل الرحلة ضمن هذا الإطار فقد دعا اليها الاغراض سامية منها طلب العلم

[1] د فؤاد قنديل ادب الرحلة في الثراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب ص20 بتصرف1

[2] د فؤاد قنديل ادب الرحلة في الثراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب ص20 بتصرف1

يقول تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]

وطلب العلم في الإسلام يتمحور حول الفقه في الدين واللغة والعلوم والصناعات وكل علم يتوقف عليه استقلال الامة وسلامتها من ايدي اعدائها كالصناعات الحربية ويرمي الإسلام كذلك من وراء الرحلة الى الاعتبار واخد الموعظة من الأمم والحضارات الغابرة رغم مصاعب الرحلة والمتاعب التي يتلقاها صاحبها فان فوائدها تخفف من ثقل مصاعبها فنحن اذا درسنا تاريخ العلماء الذين رحلوا عن اوطانهم وتأملنا فيما نتج عن رحلاتهم من مؤلفات وما تحمله بين ثناياها من علوم وأفكار فإننا نقف على الفوائد القيمة الناتجة عن الرحلة سواء على صاحبها او على قومه او على البلاد التي نزل بها

من أنفس ما يكسبه صاحب الرحلة من رحلته هو العلم والمعرفة فكم من عالم ذاع صيته بفضل المعارف التي حصلها في رحلاته كما ان مواهب العالم قد تظهر اثناء رحلته فقد يحظى في البلاد التي انتقل اليها بحرية التفكير والكتابة التي ربما لم يحظى بها في بلده فتعظم مكانته وينتفع الناس بحكمته فلولا الرحلة لما أثمر فكره "[2] يستفيد كذلك قوم صاحب الرحلة بالعلم الذي ينقله اليه ذلك الرحالة الذي تجول في الحواضر التي هي منبع للعلوم فيرجع الى قومه حاملا لهم تلك العلوم التي اطلع عليها واكتسبها اما البلد الذي يحل به الرحالة فانه ينتفع بالزاد الذي يحمله ذلك الرحالة من ثقافة وعلوم بلده وثمرة أفكاره فالأندلس استفادت من العلماء الذين قدموا اليها من المشرق الإسلامي مثل تاج الدين السرخسي واستفادت مصر من معارف ابن خلدون وامثاله فرحلات الادباء والعلماء تنقل المعارف والعلوم من بلد لأخر وبأكثر فعالية مما تنقله الكتب والمؤلفات وحدها .[3] تزخر كتب الرحلة بعدة قيم ولعل أهمها القيمة العلمية فهي سجل لمختلف جوانب الحياة البشرية من اقتصاد وتاريخ واجتماع في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية معينة قام الرحالة بتدوينها جراء اتصاله المباشر بالطبيعة والناس اثناء رحلته ويعتبر الرحالة ناقلا لهذه الظواهر الطبيعية والبشرية ليضعها امام علماء التاريخ

[1] سورة التوبة الآية 122

[2] محمد الخضر حسين الرحلات حققه علي رضا التونسي المطبعة التعاونية 1967 ص نفسه ص 122

[3] المصدر نفسه ص24

والجغرافيا والاجتماع كل حسب تخصصه ومن المعروف ان معظم المؤرخين والجغرافيين وعلماء الاجتماع العرب جمعوا مواضيعهم من خلال رحلاتهم"[1]

وللرحلة كذلك قيمة أدبية تتجلى في اتسام أسلوب مؤلفيها بالتنوع في السرد القصصي المشوق والسرد الوصفي التحليلي كما افاد ادب الرحلة بغنى موضوعاته في الالتزام اللغوي وخلص أصحابه من التكلف اللغوي والعبث اللفظي لكن هذا لا يعني ان ادب الرحلة قد ابتعد نهائيا وتخلى عن كل الصفات الاسلوبية الأخرى كجمال اللفظ وارتقاء الوصف فكاتب الرحلة ينحو منحى الصرامة العلمية تارة ومنحى الليونة الأدبية المشوقة تارة أخرى ويمزج بين الواقع والاسطورة على السواء هذا التنوع يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في ادب الشعوب المعاصرة للعرب " [2]

هناك قيمة أخرى للرحلة تكمن في القيمة التعليمية التثقيفية فكتب الرحلة تصور لقارئها حضارة العصر الذي قام فيه الرحالة بجولاتهم وتطلعه على ثقافة البلدان التي زاروها واحوال الشعوب التي اختلطوا بها وهو ما يسمح للقارئ بان يقارن بين طباع وثقافة تلك الأمم مع ثقافة ونظم بلده فيقف على الفوارق ويكتشف الاصلح منها " [3]

وللرحلة أيضا قيمة تثقيفية نظرا لدورها الفعال في تعارف الشعوب فالرحالة عندما ينزل على وطن غير وطنه فانه ينقل ثقافته اليه فيصف لهم بعض النواحي من حياة قومه الثقافية والاجتماعية والعلمية ثم إذا عاد الى قومه وصف لهم مشاهداته عن حضارة الأوطان التي نزل بها فيكون القوم الذي نزل عليه الرحالة على خبرة بحال القوم الاخر فالرحلة اذا تعتبر من احدى اهم قنوات انتقال الأفكار والمعلومات والثقافات "

---

[1] سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا دار غريب للطباعة القاهرة د ت ص 7-

[2] النساج المرجع السابق ص 10

[3] الخضر حسين الرحلات حققه علي رضا التونسي المطبعة التعاونية 1967 ص 17

الفصل الأول

إسماعيل العربي

وكتابه تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر

- **المدخل:**

يرتبط لفظ الرحلة في صورته الدهنية بكل ماله علاقة بالسلوك الإنساني الذي يسعى من خلاله الى تحقيق مبتغات شتى متشعبة بتشعب الحياة لأجل راحته وامنه وسد حاجاته وكذا الرفع من مستواه المعيشي والحضاري وبما ان فعل الرحلة ينتابه الكثير من الاختلاف بين بيئة المرتحل والبيئة اليهم بالإضافة الى انه يحف بالمخاطر والمغامرات وفضول الاستكشاف ما يجعل منه مادة دسمة لخطاب حكاية هذه الرحلات منذ داب الانسان على هذا الفعل فالرحلة تحقق الفضول لدى المتلقي المتعطش للمعرفة والمسامرة والتفاعل مع احداثها وهي جملة الحوافز المشكلة للحكي الذي يروم به الرحالة الأخرين مشاركته كدافع من دوافع الهم الثقافي في أي مجتمع إضافة الى دافع هوس الانسان الذاتي الذي تدفعه اناه للتعريف بمغامراته في صورة البطل كلما رجع الى اهله ووطنه

ولم تكن هذه الجوانب التي تمثل الصور الأدبية في الحياة القديمة الا ضربا من حاجات نفسية شكلت ادبا لا واعيا تنفس الانسان من خلاله دون ان يؤسس لقيمته المعاشية حيث كانت درجة هذه القيمة الفنية ثانوية في مقابل دوافع السفر وأهدافه ذات المقاصد المحسوسة كنيل غنائم وتحقيق أغراض اجتماعية وسياسية واقتصادية وعلمية وثقافية وبهذا استطاع ادب الرحلة ان يحتل المكانة اللائقة من مجموع اشكال التعبير لدى العرب ويحقق اكبر مبتغى فني وارقى مصنفات أدبية وغير أدبية كتب فيه العديد من المؤرخين والباحثين من ضمنهم عالم من علماء الجزائر، له الكثير من الكتب زادت عن ستّين كتابا من بينها كتب عن الرحلات ومئات المقالات في الجرائد والمجلاّت ظلّ ينشرها منذ الأربعينيات إلى الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي، وقد استفادت من آثاره أجيال كثيرة من الطلبة والباحثين هو إسماعيل العربي من يكون إسماعيل العربي وما انجازاته في ادب الرحلة .

- **مولده و نشأته:**

رأى المؤرخ إسماعيل العربي النور في بني وغليس بوادي الصومام بمنطقة القبائل الصغرى و ذلك شهر أكتوبر من عام 1919, وهي السنة التي شهد فيها العالم نهاية الحرب العالمية الثانية , أما بالنسبة للجزائر سياسيا هو تبلور الفكر السياسي لدى الحركة الوطنية أنذاك ممثلة في حركة الأمير خالد من خلال تقديمه عريضة الاحتجاج للمجتمعين في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس و على رأسهم الرئيس الأمريكي ولسن.

لقد نشأ في ظروف كان الشعب الجزائري يعاني فيها ويلات الإستعمار الفرنسي فتربى تربية أقرانه على حفظ القرأن في الكتاب .

كما أنه نشأ في فترة شهدت فيها حركة الشباب الجزائري أزمة حقيقية في إتخاذ موقف واضح من القانون 4فبراير 1919 الذي أصدرته السلطات الإستعمارية و الذي كان يهدف أساسا إلى إعطاء فرصة لبعض الجزائريين شبه المثقفين و المثقفين ثقافة فرنسية للحصول على حقوق المواطنة الكاملة داخل الدولة الفرنسية و كان المقابل لذلك

هو تخليهم الكامل عن أحوالهم الشخصية العربية الإسلامية, و على هذا الأساس انقسمت هذه الحركة إلى تيارين

تباينين الأول له القابلية التامة لما نص عليه قانون 4فبراير 1919 خاصة قضية التجنيس و التمثيل في حين يرفض التيار الثاني مطلقا ما جاء به هذا القانون خاصة قضية التنازل عن الأحوال الشخصية للمجتمع الجزائري انطلاقا من تعلق هذا المجتمع بدينه و لغته و عاداته و تقاليده, كما أن هذا التيار له تجربة استقاها من المعارضة الشديدة التي أبداها المستوطنون لكل القوانين التي تأتي بذكر الجزائريين الذين يطلقون عليهم تسمية الأهالي les indigenes أنذاك, وبحكم أن عائلة إسماعيل [1]

العربي كانت عائلة متعلمة بحكم انتمائها إلى زاوية دينية هي زاوية سيدي موسى الوغليسي التي ذاع صيتها في منطقة القبائل, ومن الطبيعي أن يكون صدى حفيد الأمير عبد القادر قد وصل ربوع هذه المنطقة خاصة و أنه رفض رفضا قاطعا فكرة التجنيس و التخلي عن الأحوال الشخصية بل كان أكبر المدافعين عنها, يضاف إلى ذلك تلك الانتخابات البلدية التي حاولت من خلالها

[1] بوضرساية بوعزة – رواد المدرسة التاريخبة الجزائرية – إسماعيل العربي – ص 284

إدارة الاحتلال ضرب البعد العربي الإسلامي بإتاحة الفرصة لدعاة التجنس الدخول هذه الانتخابات بدعم منها و كانت قائمة بن تامي هي الممثلة لهذا التيار التغريبي, و هناك شهادة عن هذا الواقع المأساوي للمناضل أحمد مهساس في كتابه الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة و مما جاء فيها ما يلي:"...والأرجح أن المستوطنين يرون في العربي الميت أفضل العرب, ولم يكونوا يتصورون الإدماج بعيدا عن الذوبان الأهلي واختفائه مع محيطه الإجتماعي و السياسي و الثقافي, كما لم يكونوا يرضون بأي حال من الأحوال أن ينال أحد من امتيازاتهم و تفوقهم العرقي, رغم التطور و التغير العميق الذي يشهده العالم من حولهم ..." و في العشرينات من القرن العشرين كان نجم شمال إفريقيا الحزب الجزائري الذي عبر بصدق عن طموحات هذا الشعب في الانعتاق و الاستقلال, مما جعله الحزب الوطني الوحيد بدون منازع الذي تضمنت مطالبه الاستقلال

الوطني لتحل مرحلة الثلاثينيات التي جاءت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي الحركة التي حاولت إصلاح الوضع الديني و الثقافي داخل الجزائر, هذه الأحداث كلها مجتمعة كانت عوامل بارزة أثرت بشكل مباشر على نشأة المؤرخ إسماعيل العربي [1]

- **تعليمه:**

يعتبر انتسابه إلى زاوية سيدي موسى الوغليسي, مؤشرا صحيا على التزامه بالتعليم منذ صغره و طرقه لباب العلم و الثقافة منذ نعومة أضافره, خاصة وأن هذه الزاوية لم تخرج عن الطابع التعليم الديني, وهذا يعني أنه كان ملزما لحضور كل الحلقات التي كانت تلقى داخل الزاوية, وهذا ما سمح له بمتابعة و مداومة هذه الحلقات في الزاوية التي تضمنت من حيث الدراسة عدة عوامل منها الفقه و النحو و الصرف و علم التوحيد و الحديث, والعديد من العلوم الدينية الأخرى التي ميزت التعليم [2]

الديني في تلك الفترة وهو ما أكسبه قوة الفصاحة والدراية بعلم اللغة بعد أن اكتسب ملكة العلم و المعرفة في شتى العلوم.

[1] بوضرساية بوعزة – رواد المدرسة التاريخية الجزائرية – إسماعيل العربي – ص 285
[2] نفس المرجع ص 286

لم يقتنع إسماعيل العربي بالرصيد الذي حققه في الجانب العلمي و رأى ضرورة البحث عن منابع علمية أخرى حيث كانت قسنطينة أقرب حاضرة علمية له, لذلك شد الرحال إليها ليزيد من تعميق معارفه, وهي المدينة التي داع صيتها بالعلامة عبد الحميد بن باديس المصلح ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكان أول مقصد لإسماعيل العربي هو الجامع الأخضر الذي كان منارة للعلوم الدينية. ويكفيه شرف و اعتزاز أنه نهل من معارف العلامة بن باديس. وأكمل نضجه المعرفي على يد الشيخ الفاضيل الورتيلاني. وهو ما زاده قناعة

بالمنهج الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين, بل أصبح أحد أقطابها البارزين لكن الظروف كانت أقوى مما يتصور المرء حيث اجتذبته أمواج الغربة فتزوج سويسرية أنجبت له بنتان و طفل هم: إسمهان و شهرزاد وخلدون.

سافر إسماعيل العربي إلى مصر في سنة 1939 وبقي فيها إلى غاية 1947. درس خلال هذه الفترة في جامع الأزهر، وفي الجامعة الأمريكية بالقاهرة التي نال منها شهادة الليسانس في الأدب الانجليزي الذي سيخصص له سنوات فيما بعد دراسات وترجمات عديدة ثم جمعها في كتاب يتكوّن من 3 أجزاء تحت عنوان: "نماذج من روائع الادب العالمي "

وقد حضر دروس ومحاضرات العديد من الأساتذة المصريين وأذكر هنا محاضرات الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة المعروف في كلية الآداب بالجامعة المصرية الذي لمس فيه وفاءً للفكرة الاصلاحية ودفاعا عن أفكار الإصلاح التي نادى بها العلماء الرواد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا في مصر وعبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي وغيرهم في الجزائر

كما حضر إسماعيل العربي النشاطات الفكرية والأدبية التي كانت تقام خارج الجامعة المصرية، وقد ذكر منها صالون الشيخ محمد عبد اللطيف دراز الذي كان آنذاك وكيلا لجامع الأزهر.

وكان ينشط هذا المجلس العلمي نخبة من العلماء والمفكرين والأدباء المصريين والعرب وكذلك الطلبة المسلمين الأجانب الذين كانوا يتلقون العلم في المعاهد والمدارس المصرية. وكانت المناقشات متنوعة تتناول موضوعات فكرية وأدبية وسياسية " [1]

[1] بوضرساية بوعزة – رواد المدرسة التاريخية الجزائرية – إسماعيل العربي – ص 287

يساهم في إثرائها الدكتور عثمان أمين، الدكتور محمد البهي والدكتور عبد الحليم محمود... والأستاذ دراز بالخصوص

ولقد اغتنم إسماعيل العربي فرصة وجوده في القاهرة لزيارة دار الشيخ محمد عبده الذي بلغت شهرته الآفاق ومازالت آثار زيارته للجزائر في عام 1903 على ألسنة رجال الفكر والإصلاح الجزائريين. غير أن إسماعيل العربي تفاجأ بالإهمال الذي طال بيت هذا الزعيم الإسلامي الكبير. ولم يعد الناس يتذكرون كفاحه الوطني ويهتمون بنضاله الإسلامي، فقد صار هذا البيت الرمز «نهبا للرياح والأمطار»، وأصبح «المكتب الصغير الذي كان الأستاذ يسجل عليه آثاره القيمة، تغطيه طبقة كثيفة من خيوط العنكبوت». ولا أدري إن تحسن بعد ذلك حال بيت الشيخ عبده أو اهتمت به مصلحة الآثار وحوّلته إلى معلم يزوره الناس، ويستلهمون من عطاء صاحبه الشهير، ويتذكرون كفاحه الوطني والقومي، ويترحمون على روحه الطاهرة.

- **في رحاب جمعية العلماء المسلمين:**

عاد إسماعيل العربي من مصر في عام 1947 بعد أن نال شهادة الليسانس. وقد أسرع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الاستعانة بخبرته واطلاعه على مناهج التربية والتعليم الجديدة وكلّفه بوضع تقرير كامل حول تنظيم التعليم العربي الحر. وقد نشر بعض فصوله في جريدة ''البصائر''، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي تدل فعلا على اطلاعه الواسع على علوم التربية

وتقديرا له عينته الجمعية رئيسا للجنة التعليم العليا التي كانت تضم خيرة أساتذتها ومعلميها. وقد نشرت جريدة ''البصائر'' صورة تذكارية لأعضاء هذه اللجنة وهم علي مرحوم، إسماعيل العربي، العباس بن الشيخ الحسين، محمد الغسيري، الصادق حماني، عبد الحفيظ الجنان، أحمد بن ذياب، أحمد حماني، عبد القادر الياجوري، محمد الصالح رمضان

وقامت هذه اللجنة برسم برامج مدارس الجمعية والتفتح على المناهج الحديثة، وضبط شروط الالتحاق بها سواء للتلاميذ أو للمعلمين، وضرورة الاشتراك في صندوق الضمان الاجتماعي والتأمين، وتحيين نظام التفتيش والترقيات وغيرها من القرارات الجديدة[1]

[1] اد مولود عويمر مجلة البصائر 29-03-2021 إسماعيل العربي باحث خارج السرب

وفضلا عن هذا العمل البيداغوجي، واظب إسماعيل العربي على الكتابة في جريدة ''البصائر'' فنشر مقالات في التربية والسياسية والفكر. وكانت مقالاته تتسم دائما بجمال الأسلوب وعمق التفكير والاستدلال الدقيق. فقد كتب عن الوحدة الوطنية والقضية الفلسطينية وأشاد بالزعيم الهندي مهتما غاندي وقدم عرضا قديا لكتاب ''شروط النهضة'' لمالك بن نبي...

غير أن كتاباته قلت في هذه الجريدة بعدما تفرغ لإصدار مجلة ''إفريقيا الشمالية'' التي فتح صفحاتها لرجال الجمعية فكتب فيها أحمد توفيق المدني، أحمد رضا حوحو، محمد الصالح رمضان، أحمد سحنون، باعزيز بن عمر، عبد الكريم العقون، الربيع بوشامة... واعتبر الشيخ محمد البشير الابراهيمي إصدار هذه المجلة تحت الاحتلال الاستعماري وضغوطاته ومعوّقاته المختلفة بمثابة «مثال من تغلب الهمة على الصعوبة، وانتصار

العزيمة على القنوط». فعلا تعب إسماعيل العربي كثيرا في إعدادها وتحمل ما لا طاقة له في توزيعها. وقرر في الأخير توقيفها بعد صدور 4 أعداد ريثما يسدد عجزها المالي

من نوادي التهذيب إلى جامعة السوربون:

زار إسماعيل العربي فرنسا للمرة الأولى في عام 1938 لما أرسلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليساهم في نشاطات نوادي التهذيب الإصلاحية التي كان يشرف عليها أستاذه الفضيل الورتلاني وعدد من رجال الجمعية. فتعاون معهم في تعليم اللغة العربية والإرشاد في صفوف العمال المهاجرين الجزائريين. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية، غادر إسماعيل العربي باريس وتوجه إلى مصر

وعاد إليها في عام 1949 طلبا العلاج في المستشفيات الفرنسية. واغتنم وجوده في باريس للتسجيل في جامعة السوربون لإتمام دراساته العليا. واختار تخصص التاريخ وكان يستمع باستمرار إلى المحاضرات التي كان يقدمها الأساتذة وينقلها في كراريس مدرسية ومازال يحتفظ ببعضها ضمن أشيائه الثمينة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في 31 مارس 1997

لقد أنجز رسالة جامعية حول موضوع جغرافية ابن سعيد المغربي تحت إشراف المستشرق المعروف موريس لومبار الذي وصفه بـ «العالم المتضلع الذي يملك أدوات للبحث لم يتح لي أن أعرف أحدا يملك مثلها، فكان يستعمل ثلاث عشرة لغة للبحث، وذلك مع تواضع ونزاهة في البحث [1]وتعاطف مع الإسلام». ووفاء لهذا الأستاذ الفرنسي ترجم كتابه ''الإسلام في مجده

[1] اد مولود عويمر مجلة البصائر 29-03-2021 إسماعيل العربي باحث خارج السرب

الأول" والذي نال رواجا عند القراء في الجزائر وفي العالم العربي وطبع مرات عديدة. وفي سنة 1954 نال إسماعيل العربي شهادة الدراسات لعليا في التاريخ من جامعة السوربون بعد جهد وفير وصبر كبي

ولم تنقطع صلته بفرنسا فكان يزورها من حين إلى آخر، وكان يحرص في كل مرة على زيارة المكتبة الوطنية

بباريس والاطلاع على رصيدها الثري من المخطوطات العربية وتصويرها عندما يسمح له بذلك، والاشتغال عليها بعد ذلك سواء بالرجوع إليها في كتاباته المختلفة أو بتحقيقها، وأذكر هنا على سبيل المثال: "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" لأبي حامد الغرناطي

- **رحلاته في الشرق والغرب:**

سافر الأستاذ إسماعيل العربي إلى ليبيا وأقام فيها سنة واحدة حيث عمل مترجما في مكتب رئيس الوزراء. وبعد هذه التجربة، سافر إلى لندن حيث التحق بالقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية واشتغل فيها 4 سنوات وتكوّن بشكل جيّد في مجال الإعلام الاذاعي الذي لم ينفصل عنه، واستمر في إعداد وتقديم البرامج الإذاعية حتى بعد الانتساب إلى الوظائف الإدارية الأخرى، وأذكر هنا منها برنامجه الشهير الذي كان يعده ويقدمه في الإذاعة الجزائرية حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الصحراء. وقد نشر تلك الحلقات فيما بعد في كتاب بعنوان: "الصحراء الكبرى وشواطِئها"

كما استقر عدة سنوات في جنيف للعمل في المنظمات الفرعية لهيئة الأمم المتحدة حيث سبقه إليها صديقه المثقف والمصلح الأستاذ محمود بوزوزو. ولما عاد إلى الجزائر واستقر في عاصمتها عمل مستشارا للشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ولم يكتف بتقديم الاستشارة والتعبير عن آرائه حول الكتب التي تعرض على هذه المؤسسة بغرض الطبع، فقد تفرغ للبحث والكتابة والترجمة والتحقيق بعد أن ضمن طباعة أعماله التي بلغت ما يقارب 50 عملا أثرى بها المكتبة التاريخية والأدبية الجزائرية.

وسافر إلى العديد من الدول بحثا عن المخطوطات أو للمشاركة في الملتقيات العلمية. وأذكر هنا: الندوة الثانية للجنة العالمية للدراسات الموريسكية بتونس في ديسمبر 1983، والندوة

القومية لكتابة التاريخ العربي ببغداد في ديسمبر 1987. وزار بهذه المناسبة قسم التاريخ في جامعة الموصل [1]

بدعوة من صديقه الدكتور أحمد الحسو. وما زال الطلبة العراقيون يتذكرون هذه الزيارة كما قال لي الدكتور ناصر عبد الرزاق جاسم الذي كان آنذاك طالبا في جامعة الموصل: «ألقى علينا محاضرة رائعة وأثار إعجابنا بعلمه الغزير واحترامه وقامته المديدة وشعره الأبيض

- **نظرات في اثاره العلمية :**

استهوى البحثُ في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي الأستاذَ إسماعيل العربي، فخصص له الكثير من جهده ووقته، وانبرى لدراسته والتأليف فيه، منجزا العديد من الدراسات والمؤلفات التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع

وهذه المؤلفات هي

– ‘‘دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية’’، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م،ص 306

‘‘دولة بني زيري ملوك غرناطة’’، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، 231ص.–

‘‘– دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفارس وقرطبة’’، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م، 334ص.

–واهتم بصفة خاصة بحياة الأمير عبد القادر وجهاده ضد الاستدمار الفرنسي، مؤلفا في ذلك عدة كتب، هي

‘‘–– المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر’’، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، 324ص.

‘‘– العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر’’، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، 288ص.

‘‘– الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش’’، وزارة الثقافة والسياحة، 1984م، 135ص

وقد خص تاريخ الجزائر الحديث بعدة بحوث ودراسات جمعها في كتاب بعنوان

[1] اد مولود عويمر مجلة البصائر 29-03-2021 إسماعيل العربي باحث خارج السرب

دراسات في تاريخ الجزائر الحديث''، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت [1]

وفي إطار الدراسات التاريخية والجغرافية، كتب عدة مؤلفات عن مدن المغرب الإسلامي وخصوصياته البيئية، منها

– ''عواصم بني زيري: أشير ـ القلعة – بجاية – غرناطة ـ المهدية''، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1984، 229ص.

''المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، 351ص

''الصحراء الكبرى وشواطئها''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، 415ص

'' معجم الحواضر الإسلامية بالأندلس

''معجم الحواضر الإسلامية بالمغرب''

كما اهتم كذلك بالدراسات التاريخية المتعلقة بجهود المسلمين ودورهم في الحضارة الإنسانية، حيث أصدر عدة كتب في هذا الموضوع، ومنها

''تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

''دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية''، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م، 421ص.

''معجم الجغرافيين والفلكيين العرب''

ولم ينس أن يعالج قضايا المسلمين المعاصرة وواقعهم في مختلف بلدانهم، ومن المؤلفات التي أصدرها في هذا الإطار

''حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، 399ص.

''الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية''، ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1985م، 468ص

لم تشغل الأبحاثُ التاريخية الأستاذَ إسماعيل العربي عن الاهتمام بالواقع السياسي والاقتصادي العالمي، فالرجل بمقتضى ثقافته الواسعة وتكوينه العصامي المتعدد الجوانب، وجد

[1] مسعود فلوسي مجلة البصائر 19- 12- 2017 من علماء الجزائر المعاصرين المؤرخ والمحقق والمترجم إسماعيل العربي

نفسه معنيا بالواقع الدولي الذي كانت تتقاسمه قوتان عظميان هما: المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، وبينهما ضاعت [1]

حقوق الدول الصغيرة والمتخلفة عن ركب التقدم والحضارة. وقد انبرى لدراسة هذا الواقع وتحليله ورصد القوى الفاعلة فيه، وأصدر عدة كتب تعالج قضايا متعددة على الصعيد السياسي والاقتصادي العالمي. من هذه المؤلفات

هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة''، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1972م، 343ص.

التكتل والاندماج الاقتصادي بين الدول المتطورة''، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1981م، 259ص.

التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المشرق''، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، 357ص. ط2، الأردن: وزارة التربية والتعليم، 1988م.

التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب''، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م، 293ص

التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية''، ديوان المطبوعات الجامعية، 1979م، 413ص

حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، 399ص.

فصول في العلاقات الدولية''، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990م 309ص

ليس هذا فقط بل اهتم بتحقيق التراث العربي، خاصة منه المتعلق بالجزائر والمغرب الإسلامي، حيث حقق عددا من الكتب التي أخرجها مطبوعة لتنتشر بعد ذلك في المكتبات الجزائرية والعربية، ليستفيد منها المؤرخون والباحثون في التاريخ الجزائري والمغاربي والإسلامي عموما؛ وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها بعض تحقيقاته، إلا أن جهوده في هذا الإطار تظل سابقة رائدة، ولا يستغني عنها مؤرخ أو باحث أو دارس.

ومن التحقيقات التي أصدرها

[1] مسعود فلوسي مجلة البصائر 19- 12- 2017 من علماء الجزائر المعاصرين المؤرخ والمحقق والمترجم إسماعيل العربي

كتاب سير الأئمة وأخبارهم''، لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، 308ص[1]

نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد . رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس''، لأحمد بن المهدي الغزال، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، 247ص

القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: مقتبس من كتاب نزهة المشتاق''، لأبي عبد الله الشريف الإدريسي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م، 358ص

رحلة الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبا وآسيا''، ط2، الدار البيضاء، المغرب: دار الآفاق الجديدة، 1993م، 223ص .

تاريخ بني حماد''، للوزير لسان الدين بن الخطيب: مساهمة في إحياء ذكرى مرور ستة قرون على وفاة الوزير لسان الدين بن الخطيب (775 هـ/ 1374م-1335م)

الجغرافيا''، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، ط1، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، 1970م، 262ص

سير مشايخ المغرب''، لأبي زكريا يحيى الو رجلاني، الجزائر، 1979م

تاريخ افتتاح الأندلس''، لأبي بكر ابن القوطية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، 195ص.

– ''المقتبس في تاريخ الأندلس: عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام''، تأليف: حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأندلسي، ط1، الرباط: دار الآفاق الجديدة، 1990م، 190ص.

العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع''، لابن غانم الرياش الأندلسي.

عهد الأمير عبد الله الأموي''، لأبي حيان

تقويم البلدان''، للملك الصالح أبي الفداء.

لم يكتف الأستاذ إسماعيل العربي بما أنجزه من أعمال كبيرة في التأليف والتحقيق، وإنما مد جهوده كذلك إلى ميدان آخر ألا وهو ميدان الترجمة ونقل المعرفة من اللغات الأجنبية إلى اللغة

[1] مسعود فلوسي مجلة البصائر 19- 12- 2017 من علماء الجزائر المعاصرين المؤرخ والمحقق والمترجم إسماعيل العربي

العربية فقد تعلم الفرنسية والانجليزية وهذا ما ساعده على مطالعة كتب في هاتين اللغتين والهمه لترجمة اهم الكتب التاريخية الخاصة بالجزائر والغرب الاسلامي [1]

ومن هذه الترجمات

العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776م- 1816م)، راي وإروين (من الإنجليزية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، 310ص

- مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، 219ص. (من الإنجليزية)

مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا (من الإنجليزية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989م، ص30

– مذكرات أسير الداي .كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، جامس ليندر كاثكارت، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، 321ص. (من الإنجليزية)

الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، جوزيف رينو. بيروت : دار الحداثة، 1984م، 283ص

الإسلام في مجده الأول، القرن 8-11م، موريس لومبار (من الفرنسية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، 391ص

سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطون إرفينج، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م، 501ص.

– الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي (1830م-1962م)، ماسي (من الفرنسية) وزارة الثقافة، 2007م

الثائرة (مسرحية)، أوسكار وايلد.-

كما لم يكتف بالترجمة من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية فحسب، بل ترجم أيضا من العربية إلى غيرها، ومن ذلك ترجمته لكتاب ‘‘الجغرافيا’’ لابن سعيد المغربي إلى اللغة الفرنسية.

[1] مسعود فلوسي مجلة البصائر 19- 12- 2017 من علماء الجزائر المعاصرين المؤرخ والمحقق والمترجم إسماعيل العربي

أما مقالاته ودراساته المنشورة في الصحف والمجلات فهي كثيرة ولم يجمع إلا الجزء اليسير منها لحد الآن. من أهم المجلات التي حرر فيها: ''الأصالة''، ''الثقافة''، ''الشعب''، ''المجاهد الثقافي''، و ''مجلة الدراسات التاريخية''....الخ .[1]

- **منهجه في الكتابة :**

"اتسمت الاسهامات التاريخية لإسماعيل العربي بميزتين اثنتين احداهما وثائقية تاريخية دل عليها اهتمامه بالتنقيب عن نفائس المخطوطات وتحقيقها وأخرى تحليلية ومقارنة لمواضيع تاريخية وجغرافية مختلفة شملت منطقة بلاد المغرب والاندلس بالإضافة الى ترجمته للعربية عدة كتب ذات صلة تاريخية ويستفاد من مضمون اعمال المؤلف بحثه في إشكالية إعادة كتابة تاريخ المنطقة بصورة مخالفة للكتابة التاريخية الاستعمارية وتهافت المستشرقين والمستعربين الذين سخروا حسب رايه انفسهم بطريقة مباشرة او غير مباشرة لمساعدة الاستعمار على فهم عقلية المسلمين ولذلك جاءت اختياراته المقدمة للقارئ في شكل ترجمات لكتب متوازنة ومنصفة في مبادرة منه لعرض نظرة غير المسلمين لتاريخنا بينما اعتمد في ابحاثه على مقاربات منهجية ركز فيها على جمع مادة مستفادة من مصادرنا التراثية "

كما وظف في كتاباته عامل السرد وأحيانا أخرى مزج بينه وبين التحليل على حسب الموضوع ومستوى القراء. كذلك بالنسبة للتحقيق فأحيانا يكتفي بجهد اكتشاف المخطوط و نشره ، وأحيانا يبذل جهدا كبيرا في التحقيق والمقارنة بين النسخ العديدة التي توصل إليها بعد بذل الجهد وإنفاق المال، وتأريخ للكتاب والاعتراف للمستشرقين الذين لهم الفضل في العثور عليه للمرة الأولى ونشره أو ترجمته إلى اللغات الأوروبية المختلفة

- **وفاته:**

كان من الصعب جدا على هذه الشخصية الجزائرية الجليلة و المعتبرة أن تختار ديار الغربة طواعية تاركة وراءها شيئا مقدسا وغاليا ألا وهو الوطن, لكن ظروفه هي التي سطرت له ذلك المسلك و المقام ف آن واحد, فكانت عودته النهائية لأرض الوطن إحدى رغباته و حلمه الذي

[1] مسعود فلوسي مجلة البصائر 19- 12- 2017 من علماء الجزائر المعاصرين المؤرخ والمحقق والمترجم إسماعيل العربي

طال تحقيقه, و شاء القدر أن توافيه المنية دون أن يحقق ذلك الحلم الذي راوده طويلا, و كانت أرض الغربة مسكنا النهائي فمات وهو في الغربة بعيدا عن الوطن, وكان ذلك في 31 مارس 1997 عن عمر يناهز 88 سنة بالمغرب الأقصى.[1]

بوضرساية بوعزة – رواد المدرسة التاريخية الجزائرية – إسماعيل العربي – ص 288

بطاقة فنية عن الكتاب

عنوان الكتاب: تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر

المؤلف إسماعيل العربي

سنة النشر: 1968

الطبعة: بدون ذكر الطبع

دار النشر: المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف

بلد النشر: الجزائر

عدد الصفحات: 324 صفحة

نوع الغلاف: غلاف ورقي

دراسة وصفية للكتاب:

قبل التطرق لما يحمله هذا الكتاب في داخله وما يبسطه ويطرحه وما يتخلله من مواضيع طرحها المؤرخ الجزائري "إسماعيل العربي" حاولت أن ألم وأصور ملامح الكتاب على الواجهة الأساسية بإعتبارها أول ما يلحظه القارئ بصفة خاصة. فأول ما تقع عيناك على الواجهة الأمامية بإعتبارها أول ما يلحظه القارئ بصفة خاصة .

فأول ما تقع عيناك على الواجهة الأمامية للكتاب سيشدك لون الغلاف السماوي يتصدره إسم الكتاب الموسوم ب " تاريخ الرحلة و الإستكشاف" باللون الأبيض وبخط عريض تحت مباشرة تكملة العنوان " في البر والبحر" لكن بخط أصغر ثم صورة صغيرة تتوسط الغلاف بالأبيض والأسود تظهر على شكل آلة زمن وفي آخر الغلاف ذكر المؤسسة الوطنية للكتاب أي أين طبع بخط صغير باللون الأسود وشعار المؤسسة أما على جانب الكتاب فقد خط عليه إسم الكاتب وأسم كتابه وشعار المؤسسة باللون الأسود على عكس الواجهة الخلفية التي كانت بيضاء لا تحمل شيء ولا ننسى أن هذا الكتاب حجمه صغير وعدد صفحاته 346.

- **مضمون الكتاب:**

يعد كتاب " تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر" مرجعا مهما لعلماء الجغرافيا والتاريخ ويقدم للقارئ دراسة شيقة ورائعة لتاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر إذ يتناول موضوعات متنوعة كالرحلات والاستكشافات البحرية وكذا الرحلات البرية التي شكلت أهم المعالم التاريخ و الحضارة ويقدم الكتاب أيضا نظرة فاحصة عن الحضارات القديمة التي إزدهرت على الساحل البحر المتوسط وشرق آسيا بأسلوب سهل ومباشر معتمدا على سياسة الفصول إذ قسمه إلى واحد وعشرون فصلا كل فصل خاص برحلة ما ورحالة إذ جمع أهم الرحلات أشهر الرحالة فإستهل كتابه بمقدمة وضح فيها كيف إحتكر المسلمون الرحلة والإستكشاف على مستوى العالمي قبل القرن الثالث عشر إلا أن أخذت الرحلات تتقص وضاعت التجارة من بين أيديهم إستكشاف المناطق المجهولة في العالم حتى أنهم أصبحوا يجهلون جديد الإكتشافات التي حققتها أساطيل الدول البحرية وقد تعمم هذا الجهل على العامة من المثقفين ومؤرخين وبين كيف ورثنا قلة الاهتمام

بالرحلة والإكتشاف معللا ذلك بحمى السطو على الموارد وإحتلال البلدان إستعمارها متسببة في خلو المكتبات الغربية من كتب تعرف للناس بطرق إتساع خريطة العالم وجديد ألإكتشافات والرحلات التي نتج عنها معرفة وجود قارتان من قارات المعمورة "أمريكا وآسيا" مع ذلك إهتم فئة من الناس بكتب الرحلة وخاصة المغاربة الذين يتوجهون إلى الماكن المقدسة ويسجلون ملاحظاتهم في الكتب حقيقة لاقت رواجا وإقبالا لكن بدافع غير الدافع الواجب عليهم البحث فيه إذ قرأو هذه الكتب تسلية لما يرويه الرحالة من عجائب وغرائب لا بدافع الرغبة في فهم خصائص المناطق التي يصفها أو محاولة منهم في إستعاب أهميتها الجغرافية والإقتصادية وذلك ما ساعد في التوسع الأوروبي على حساب المسلمين فجهلنا جعلنا فريسة سهلة ووقعنا في شبكة المحتل ومع ذلك لا يمكن حصر الرحلة الإستكشافية في المخططات السياسية لأنها كثيرا ما تكون فردية ودوافع إليها ذات طابع تجاري وفي طياتها أغراض علمية إذ سجل الرحالة ملاحظات إقتصادية وسياسية وطرائف أدبية وكل ما يصادفه من عجائب وغرائب في البلدان التي يزورها بهدف توسيع نطاق المعلومات عن المعمور من الأرض والحول على معلومات منطقة معينة وأبرز هذا النوع في رحلة "سلام الترجمان" و"رحلة كريستوف كلومب" لما ذكر دافع المغامرة وحب الاكتشاف في درس أحوال الشعوب ومعرفتها كرحلة سائح "شو " =shousوهناك نوع آخر يستهدف الحج .وعليه كانت المقدمة نبذة عن كيف تطور أدب الرحلة عند المسلمين وكيف ساءت حالته فيما بعد ذاكرا مجموعة دوافع لإقدام الرحالة على رحلته والهدف منها وختمها بصعوبة إقتناء كتب الرحلة, فالأغلبية كانوا يشترونها للمتعة وتمضية الوقت لكن لم تعد تستهويهم بعد توفرمسليات الأخرى كالتلفاز والسينما والتنقل لقضاء عطلات صيفية فأهملوها إلا أنها بقيت مرجعا بالنسبة للكتاب الذين يعالجون سير الرحالة وأعمالم التاريخية الذين من بينهم إسماعيل العربي.

وقد عمل على تقسيم كتبه إلى مجموعة فصول وصل عددها إلى واحد وعشرون فصلا لكل فصل حكايته.

أما الفصل الأول عنونه ب"رواية أبي حامد الغرناطي عن بلاد البلغار وغيرها" فابتدأ بتعريفه ذكرا أصله وحياته الشخصية والفكرية ثم روى لنا أحداث رحلته وأهم ما مرّ به. ثم الفصل الثاني عن "إبن فضلان استكشافاته لبلاد البلغار" وكذلك عرف بشخصيته ومنجزاته ورحلاته . الفصل الثالث كان عن "مالاكو بولو" واستكشافاته للصين واليابان. أما الفصل الرابع استكشاف ابن بطوطة للهند والصين معرفا إياه وبرحلته. ثم الفصل الخامس الموسوم بكريستوف كلومب واستكشافه لجزر

الأنتيل والقارة الأمريكية فغاص في محاولات المسلمين لعبور المحيط الأطلسي ثم اكتشافاته في جزر الأنتيل وكوبا وبعدها القارة الأمريكية. الفصل السادس كان عن اكتشاف المكسيك والبيرو والبرازيل. أما السابع عن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح استهله بتمهيد ثم تعريف عن دياز وفاسكو داجاما واكتشاف رأس الرجاء الصالح وكانت نهايته عن اكتشاف الشواطئ الإفريقية. الثامن عن إبن ماجد وإرشاده الأسطول البرتغالي المستكشف في المحيط الهندي. ثم الفصل العاشر عن الحسن بن محمد الوزان ورحلته لممالك السود في افريقيا الوسطى فتحدث عن جولاته ومملكة جينة ومالي, وتمبكتو, كابرا, جاو, جوبر, أجاديس ,بورنو, نوبيا, وولاية كاتو. فالحادي عشر استكشاف رأس هورن وأستراليا ونيوزيلاندا واستكشاف أمريكا. أما الثاني عشر كان عن اكتشاف أعالي مصر والنبتة والحبشة ومنابع النيل. الفصل الرابع عشر عن الرحلات بوحنيفل حول العالم واكتشافاته. والخامس عشر خاض في بعثة جالوب الاستكشافية وأهم الأحداث التي واجهتها. أما الفصل السادس عشر كان حول رحلة جرار دوفنيرفال في إسنتبول والقاهرة واصفا عيد الفطر في تركيا وقصور السلطان وحفلات عيد الأضحى, والإحتفالات الخاصة في مصر, ورقصات هناك وتحدث عن الحاوي. كذلك الفصل السابع عشر عرف فيه عن مشال دانصون وكاستكشافاته لغمبيا والسنغال أما الفصل الثامن عشر كان عن جوستاف فلوبير ورحلته إلى الشرق. يليه الفصل التاسع عشر الموسوم ب الاستكشافات الأوروبية للصحراء الكبرى قسمه إل أجزاء الأول كان قبل القرن التاسع عشر ثم تعريفاته عن بعض الرحالة استكشافاتهم "هورنمان. بوزيف ريتشر. الميجور لانج. روني كابيه. دافيد صون. ريتشارد صون. هنري بارث. دوفيريي. جرهارد روهلفس. أوسكار لانز. وأخرهم الأنسة أليكساندرين." أما العشرون تحدث فيه عن بعثة فلاتر ومشروع مرصا لسكك الحديدية وأخيرا الفصل الواحد والعشرون موضوعه رواد التبشير ذاكرا نشاط شارل دوفوكو.

- **ملخص الكتاب :**

يتناول الكتاب تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر منذ العصور القديمة حتى العصر لحديث سواء الرحلات العربية او الغربية حيث سلط الضوء على المستكشفين الأشهر في التاريخ والرحلات الخطيرة و الاستكشافات الجديدة التي قاموا بها كما يتحدث الكاتب عن تاثير هده الرحلات على الحضارات المختلفة و التغييرات التي حدثت بسببها في العالم اذ يعتبر مرجعا مهما لكل محبي علوم الجغرافيا و التاريخ والرحلات

- **مميزات الكتاب :**

يوفر الكتاب معلومات شاملة و مفصلة عن تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر عبر العصور مع التركيز على المهمات الشهيرة التي شهدها التاريخ

يقدم الكتاب قراءة سهلة و مفهومة لقصص الاستكشاف و الرحلات التي قام بها الرحالة والمستكشفين في التاريخ مع الحفاظ على الدقة العلمية و التحليل المتاني

يقدم الكتاب قراءة ممتعة و شيقة حيث يستخدم الكاتب أسلوبا جدابا يجعل القارئ مهتما و متحمسا للمعرفة و الاطلاع

يمثل الكاتب مصدرا مهما للباحثين و المهتمين بتاريخ الرحلة و الاستكشاف حيث يتضمن معلومات تفصيلية و شاملة و ذات قيمة تاريخية كبيرة

- **مفهوم الرحلة من منظور إسماعيل العربي :**

اهتم إسماعيل العربي بمواضيع كثيرة مختلفة اختلاف الاحداث والوقائع فمن بين اهتماماته موضوع الرحلة الذي اسهم في تبين مفهومه والكتابة فيه اذ يعتبر إسماعيل العربي "ان الرحلة نمط من الأنماط الرئيسية للوصف الجغرافي ووسيلة للتعرف على المسالك والمالك "[1] لابد من دراستها والبحث فيها لأنها شغلت مكانا في مختلف اصقاع الأرض في العصور الوسطى الى جانب التقارير والرسائل الإدارية والعسكرية وكتب الانواء والجغرافيين المتخصصين الا انه ميز كتب الرحلة عن كتب الجغرافيا من حيث حرية الرحالة في وصف البلاد التي يتجول فيها وعدم التزامه بالتحري في رواية الاخبار وتمحيصها في الكتب .

حتى انه يرى ان الرحالة لا يقاوم اغراءه في سرد قصة او طرفة مسلية حيث يمزج بين الحقيقة والواقع لدرجة ان يصعب على القارئ الفصل بين الجانب الواقعي والخرافي منها فنرى انه ربط الرحلة بالجغرافيا لكن بخصائص حددها الرحالة .

والرحلة في نظره "متعددة الأهداف والغايات فقد يكون الهدف منها السفر لتثقيف السائح عن المعمور المعروف من الأرض وقد يكون لأغراض استكشاف المجهول او الحصول على معلومات منطقة معينة وربما كان ذلك بناء على تكليف من الملك او الخليفة الذي يمد الرحالة بالمال ولوازم السفر وابرز امثلة النوع الأخير من الرحلة تلك التي قام بها سلام الترجمان بأمر

الخليفة العباسي الواثق بالله " وقد تكون لغاية المغامرة وفضول معرفة شعوب أخرى ودراسات مساوئها وفوائدها وذكر من بين هذه الرحلات رحلة الأوروبيين في القرن الماضي لصحراء ورحلة الإنجليزي " شو" الى الجزائر والرحالة البندقي ماركو باولو اما في بلاد المغرب فقد صنف رحلاتها ضمن الرحلات ذات دافع الروحي اذ يستهدف الأماكن المقدسة لأداء الحج او طلب العلم ورواية الحديث ولو تجاوز الرحال هذا الهدف يفضي به الترحال الى البلاد المجاورة للحجاز فيتجول في الشام والعراق ومصر او يستقر به في المقام في واحد من هذه البلدان بصفة نهائية وقد تكون مزدوجة الأغراض اذ كان الرحالة ذكيا متعدد المواهب فيستغل تنقلاته لتذوين معلومات عن البلاد والشعوب وفي نفس الوقت يقوم بعمليات

مربحة فتكون رحلة ذو طابع علمي في طياتها تجارية ومن بين هؤلاء الرحالة ابن حوقل النصيبي الذي تشمل منطقة تجواله الأراضي التي تمتد بين شبه القارة الهندية والاندلس مرورا بالمشرق وشمال افريقيا ورحلات الجواسيس المكلفون بجمع اخبار العدو

كما حصر نشأة الرحلات المسجلة او كما عرفها في كتابه "دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية " البعثات الاستكشافية الرسمية في عهد هارون الرشيد نقلا عن كتاب إبراهيم ابن المهدي شقيق الخليفة بعنوان الطيب " ان هارون الرشيد بعث الى اليمن قوما من قبله يبحثون عن العنبر وماهي الحقيقة عنه فاخبر اهل عدن وشرمة وخاشك انه شيء تقدف به عيون في عر البحر فيسوقه البحر صغيرا وكبير"

فنرى ان اول رحلة رسمية خرجت من بغداد بحثا عن العنبر ولم تتوقف رحلات المسلمين باختلاف الأزمنة بل عرفت توسعا وانتشارا فلم تعد تقتصر على المشرق فقط بل ربطت الجزيرة العربية بالغرب والشرق الأقصى والجنوب حتى وراء خط الاستواء بغية نشر الإسلام وتبادلات التجارية.

اعتبر الرحلة مصدرا هاما من مصادر المعلومات فأعطى مثال القصص الخيالية مثل قصص السندباد ورحلات هوميروس في اوديسا فحتى هذه القصص كانت في طياتها معلومات جغرافية وخلفيات عن مواقع مفيدة جدا لا يمكن الاستغناء عنها .

الفصل الثاني

اهتمامات إسماعيل العربي

بالرحلة العربية والغربية

1. اهتمامات إسماعيل العربي بالرحلة العربية :

تنوعت أعمال إسماعيل العربي بين التأليف و الترجمة و التحقيق كما تحددت اهتماماته بين التاريخ و الجغرافيا و أدب الرحلة و العلوم السياسية و الاقتصادية و الأدب العالمي إلا أنه اهتم بأدب الرحلة بشكل خاص و خاض فيها كثيرا فكانت له كتب عدة خصصها لهذا الفن الأدبي و حقق في حياة بعض الرحالة و أعمالهم واحداث رحلاتهم و ما ترتب عنها من نتائج من بينهم رحالة عرب و اخرين اصلهم غربي :

- **أبي حامد الغرناطي:**

اسمه الكامل محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع و أصله غرناطي قيرواني اذ ولد في غرناطة سنة (473هـ/1080م) وأقام في مدينة إقليش ينتمي إلى القيسية اعتمد اسماعيل العربي في بحثه عنه على كتاب التحفة لأبو حامد نفسه وذكر رحلته إلى مصر للهجرة التي كان هدفها التعلم و الاستفادة الا أنه عاد إلى وطنه الأصلي لكنه لم يبرح فيه كثيرا اذ عاد إلى عادة الترحال من جديد مارا بجزيرة سردينيا و صقلية ليحط بالإسكندرية ثم القاهرة مرة أخرى ثم رحل إلى بغداد مقيما فيها أربع سنوات مدعما من الوزير يحي بن هبيرة المشهور بحبه للعلم. أخبرنا إسماعيل عن جولة أبو حامد لبابهر ثم مدينة الإيرانية و عبوره بحر قزوين ثم نهر الفولجا في الأراضي الروسية و ذكر رحلاته الثلاثة إلى خوارزم و بعدها دخوله إلى مدينة بلغار حيث توفي أحد أبنائه و بعدها غادر إلى باشغرد و ذلك بعد خمس عشرة سنة ثم عودته إل بغداد مؤلفا كتابه الموسوم ب "المغرب في عجائب المغرب" وأهداه للوزير إبن هبيرة ووضع أيضا كتابه المعنون ب "تحفة الألباب" وقد نال هذا الكتاب إعجاب العربي إذ يرى أنه أثر بشكل قوي في الأجيال وذلك على مستوى الجمهور الذي جذبه إلى الكتاب أسلوبه الشيق و ما يقصده صاحبه من عجائب و غرائب مسلية و القصص وحكايات غريبة التي كان يقصها المؤلف 1

إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 11-24 بتصرف

التي مزجت بين التسلية والخيال والطابع الواقعي كما اعتبر أبا حامد مؤسسا لمدرسة تقف على الحدود بين الجغرافيا الوصفية وأدب الرحلة وقسم الكتاب الذين تأثروا بهذا الرحالة إلى طائفتين طائفة اتخذته مصدرا للاستشهاد بأقواله و الاقتباس من روايته باعتباره شاهد عيان لما يصفه وطائفة اقتدت بمنهجه في العرض وقلدت أسلوبه وذكرهم على حسب التسلسل الزمني: القزويني, إبن الوردي, التميري , القلقشندي, ثقي الدين المقريزي, الأبهشي, ابن اياس. جميعهم استشهدوا بأقوال أبي حامد في كتاباتهم وفي سنة557هـ استقر في اتقام ومن هناك تشجع ليسجل مشاهداته وما صادفه في ترحاله من عجائب وغرائب بحث من الشيخ الذي استضافه "الشيخ معين الدين أبو حفص عمر الأردبالي" ومن العراق انتقل إلى الشام و أقام بحلب ثم سافر إلى خرسان ثم إلى دمشق حيث توفي, وذكر اهتمام الكتاب بتحفة الألباب ودراساتهم للنصوص التي يصف فيها المؤلف مشاهداته في روسيا و بلاد البلغار وميل أبي حامد إلى الغرائب وتحدثه عن نفسه بضمير المتكلم وسهولة تصديقه للعجائب واعتقاده فيها و المجهود الذي كان يبذله لتوسيع نطاق معلوماته إذ تجول في مناطق لم يطرقها أحد من العرب وجمع العديد من القصص والحكايات التي قد تبدو سطحية لكنها تحمل في طياتها حقيقة تاريخية كما وضح مساهمة أبي حامد في البلاد الروسية والمناطق التي تجول فيها واصفا إياها وتقاليدها وعاداتها[1].

- **ابن بطوطة:**

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف باسم ابن بطوطة آخر الرحالة من المسلمين ولد في17رجب703هـ بطنجة من أسرة تنتمي إلى قبيلة "لواته" التي كانت أراضيها تمتد على شواطئ برقة الشرقية قبل حدود مصر الغربية. كان مرجحا أن يكون محمد بن عبدالله قد درس الفقه المالكي دراسة وافية حيث أنه عمل بمنصب قاضي في بلدين إسلاميين في الشرق الأقصى إلا أنه لم يخلف أية مؤلفات في الفقه ولا في غيره من العلوم كما كان شاعرا ينظم شعرا لابأس به اكتشفناه من خلال أبيات وجدت في رحتله.

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 11-24 بتصرف

أما رحلته فقد اكتشف العالم الإسلامي قيمتها منذ وقت مبكر وأنها تختلف كليا عن كتب العجائب والغرائب إلا أنه واجه بين أواسط المثقفين نظرة استخفاف وتشكيك وذلك لعدم قدرتهم دراسة ما تنطوي عليه الرحلة من المعلومات وتحليلها بطريقة نقدية.

وقد كان في مقدمة من المتشككين بما يقصد ابن بطوطة معاصرة الأشهر عبد الرحمن بن خلدون إلا أنه لم يمر كثيرا ولفتت الرحلة أنظار الدارسين من العلماء المحدثين الذين نظروا بعدسات مبكرة إلى ما انطوت عليه من أحداث وأسماء وتواريخ وقارنوا روايات ابن بطوطة بروايات تاريخية أخرى واستطاعوا تتبع الطرق البرية والبحرية التي سلكها الرحالة على الخرائط ولم يلبثوا أن اقتنعوا بصدق وصفه بمطابقة ماذكره للحقائق المعروفة وقد بدأ اهتمام العلماء الأوروبيين يتجه إلى رحلة ابن بطوطة منذ سنة 1843 حيننشر البارون دوسلان بحثا قيما عنها في المجلة الأسيوية مستندا على المخطوطات المحفوظة لها في المكتبة الأهلية بباريس وسنة 1853 نشر لعالمان "دوفيريمي و سنبجينيتي" تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " على أساس المخطوطات المذكورة مع ترجمة فرنسية لها في أربع مجلدات.

خرج ابن بطوطة من طنجة في طريقه إلى الحج ويوم الخميس من شهر رجب سنة 1325 وكان في سن الثانية العشرين وسلك إلى الإسكندرية طريقا يمر بتلمسان وملیانة والجائر وقسنطينة وسوسة وصفاقص وطرابلس ومسراته وسرت وفي الإسكندرية نزل ضيفا على أحد علمائها اسمه برهان الدين ثلاثة أيام ثم انتقل إلى القاهرة ومنها إلى الصعيد و لاستحالة وصوله إلى الأماكن المقدسة بسبب الحرب التي كانت بين قبيلة بجة والمماليك عاد إلى القاهرة ومنها سافر إلى الشام وفلسطين ووقف [1]بعرفات سنة 726هـ.ومن مكة ذهب إلى العراق وزار بلاد العجم قبل حجته الثانية سنة 727هـ. وبعد إقامته بسنتين سافر في رحلة ثالثة سنة 729هـ من جدة إلى جنوب الجزيرة العربية ومن هناك إلى افريقيا الشرقية فزار ممبصة "كينيا" ومقديشو "الصومال" فلكوا تانزانيا وعاد منها إلى الخليج العربي. كما تنقل في بلاد آسيا الصغرى وبلاده القرم وتركيا التي زار مدنها من أرزروم شرقا إلى أزمير غربا وأقام بالقسطنطينية ومن هنا ركب البحر الأسود إلى مرسى سينوب ثم عبر الفولجا إلى جنوب روسيا وبعد ذلك أقام في خوارزم وبخاري وسمرقند وترمذ ونجول في

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 51- 66 بتصرف

أفغانستان في طريقه إلى الهند التي تجول في وسطها حتى ساحل المليبار وبعد سنتين في الهند سافر إلى جزر مهل ذيبة "المالديف" ومنه اتجه إلى جزيرة سرنديب "سريلانكا" ثم إلى البنغال والهند ثم إلى جزيرة سومطرة قبل أن يسافر إلى الصين, وفي سنة 748هـ عاد إلى الجزيرة العربية عن طريق سومطرة ونزل بظفار وبعد رحلة في مصر والشام قام بأداء حجة رابعة ثم عاد إلى بلده مخترقا بلدان الشمال الإفريقي ودخل فاس سنة 750هـ وبعدها أقام بها مدة ومن هناك رجع إلى بلاد السودان مارا بمدينة مالي وتمبكتو حتى وصل إلى ضفاف نهر النيجر أين وصله أمر السلطان أبي عنان فارس المريني بدعوة إلى يدعوه إلى العودة إلى بلده فأذعن للأمر واستقر بفاس حيث أمر بكتابة رحلته ممليا إياها على الكاتب ابن جري الكلبي بإشارة من السلطان توفي سنة 779هـ=1377م.[1]

- **ابن فاطمة :**

كان ابن فاطمة ربانا في المحيط الهندي و الذي وضع كتابا في الجغرافيا مفقود في الوقت الحاضر في شواطئ افريقيا و في مختلف انحاء المحيط الهندي و الغريب انه تجول أيضا على شواطئ افريقيا الغربية على المحيط الأطلسي ورحلة كهذه لا يمكن تجاوزها الا اذا مر على راس الرجاء الصالح من الشرق الى الغرب الا انه لم يذكر ذلك من قبل الرحالة نفسه و لا الكتاب العرب من بعده و من المناطق التي

تجول فيها ابن فاطمة جزيرة القمر مدغشقر وقد نقل عنه ابن سعيد بعض وصفه لها و عن مدينتها ليرانة2

- **ابن ماجد:**

أحمد بن ماجد بن محمد السعدي شهاب الدين في نجد في وقت لا نعلمه وتوفي سنة 1498 ولقب بأسد البحر ويعود ذلك لأصله الذي يعود لأسرته اشتغل أفرادها بقيادة السفن وقد

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 11-24 بتصرف

[2] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 129 بتصرف

كان أبوه وجده كلاها "معلما" وتركوا اسمها في الملاحة والأدب البحري معا إلا أن أحمد كان أكثر شهرة منهم وذلك يعود إلى مؤلفاته العديدة و القيمة واكتشافه لرأس الرجاء الصالح ووصوله إلى قناة موزمبيق.

فأما مؤلفاته فهي كثيرة المعروف منها: " كتاب فوائد في أصول علم البحر والقواعد". وهو كتاب يعالج بالتفصيل الجانبين النظري والعملي معا لشؤون الملاحية.

"كتاب تحفة الفحول" و"المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر" و"الأرجوزة السبعية" و"المراسي على ساحل الهند الغربي.1

- **الحسن بن محمد الوزان**:

عرف في العالم العربي باسم الحسن بن محمد الوزان الزياتي ولكن بعض مؤلفاته حملت اسم الأسد الإفريقي وهو الذي إشتهر به في أوروبا ولد في مدينة غرناطة إلا أنه طرد هو وأهله كما طرد الكثرين بعد سقوط المدينة في أيدي الملكين "فرديناند" و "إيزبيلا" فاستقروا في مدينة فاس حيث كبر الطفل وأنهى دراسته وفي سنة1511 صحب الحسن عمه في مهمة ديبلوماسية إلى بلاط السقيا محمد تورى إمبراطور مملكة صنغاي في تمبكتو ومن وقت مبكر بدأ الحسن أسفاره حتى أنه زار القسطنطينية والشرق الأوسط وهو لايزال مراهقا كما قام بزيارة لأسرة "بني وطاس" وهي أسرة متفرغة عن بني مرين التي اشتهرت بتشجيع العلم و الآداب وكذا سافر إلى تمبكتو وإلى مصر مرورا ببلاد الهوسا وملكة جاو ف شرق تشاد ومن هناك عاد إلى بلدة عن طريق البحر بعد تمكنه من معرفة المغرب وبلاد السودان الواقعة عبر الصحراء معرفة دقيقة.

إن تواريخ أسفار هذا الرحالة مجهولة تماما حيث كانت الأولوية لديه تسجيل أدق التفاصيل عن البلدان التي زاراها دون ذكر تواريخ أنه اتجه إلى المشرق عن طريق الجزائر فأقام في بلاط "أبي عبدالله محمد" سلطان تلمسان مدة ثم انتقل إلى مدينة الجزائر حيث نزل في ضيافة أحد أعيانها وأن هذا الرجل كان من أعضاء الوفد الذي اختاره سكانها لتفاوض مع الحكومة الإسبانية لعقدها معاهدة الصلح وانه كان أيضا من ضمن الوفد الذي سافر بعد إلى بجاية لمقابلة ملاح القرصنة التركي عروج بربروس, وفي النصف الثاني من شهر سبتمبر اتجه الحسن إلى مدينة مسيلة ومنها إلى

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 147 بتصرف

تونس ومن هناك إلى قفصة ثم قابس ولدى عودته توقفت به السفينة في طرابلس الغرب سنة 1518 ثم أكمل سفره إلا أن وقع أسيرا في يد قراصنة صقلية حيث نقلوه إلى نابلي ثن إلى روما أين قدمه القراصنة إلى الباباجان دوميدسي بعد اكتشافهم لغزارة علمه ومكانته المرموقة فلقى اهتماما كبيرا ووفر له البابا جميع الوسائل الضرورية التي سمحت لحسن بالتفرغ لتدريس اللغة العربية والبحث العلمي في روما وبولونيا وقد ساعده ذلك على تعلم لغات جديدة من بينها الإيطالية واللاتينية والعبرية وكانت نتيجته عربي عبري لاتيني موجود بمكتبة الإسكوريال بإسبانيا وفي سنة 1526 أتم ترجمة كتابه الذي ألفه باللغة الربية إلى اللغة الإيطالية. وقد استطاع أخيرا فك أسره والرجوع إلى بلده وعودته إلى دينه الإسلامي إلا أنه توفي في تونس في عهد الحفصيين سنة 1552مخلفا وراءه أهم كتاب والذي يعتبر وثيقة جغرافية أساسية اعتمد عليها العلماء في أبحاثهم والذي أطلق عليه اسم "وصف إفريقيا".[1]

2. اهتمامات إسماعيل العربي بالرحلة الغربية :

ماركو بولو:

لم يسلم هذا الرحالة المشهور أيضا من أبحاث المؤرخ إسماعيل العربي اذ بحث في حياته الشخصية ونشأته ورحلاته التي قام بها منذ صغره مع عائلته فعرفه على أنه بندقي الأصل ولد سنة1250م من أسرة أصلها من دلماتا تولت ربته والدته أما والده وعمه فقد سافرا في صفقة عمل لبيع الحلي ثم رجعا إلى البندقية لكن لم تطل فترة مكوثهم حيث سافروا مجددا هذه الأسرة مع ماركو وهو لم يتجاوز العشرين زار فيها تاتاريا والصين والفرس وآسيا الصغرى والهند ولدى عودتهم استأجر ماركو سفينة لنقل أغراضه من البندقية لما كانت تعانيه من الحرب مع الجنوة الا أن الحظ لم يساعفه اذ اعترض طريقه الجنويون وأسروه لبضع سنوات. وفي تلك الظروف أملئ ماركو بولو رحلته المشهورة اتبا إياها بلهجة البندقية, وقد توفي سنة1323م.

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص 169-174 بتصرف

كما بين لنا الظلم الذي عانته روايات ماركو من قبل الأروبيون و التشكيك في حقيقتها لكن لم يدم طويلا اذ الرحالة بعده أكدوا أسماء الأماكن التي وردت في رحلته و الأحداث والوقائع التي رواها فاعتبرت من بين أعظم المصادر الجغرافية, كما وصف رحلته بالمفيدة و الممتعة للقراء لما تحمله من وصف دقيق و شيق متأسفا لعدم تلخيصه بصورة ملائمة ويعود ذلك لحجم الكتاب الكبير لكنه لم يفقد الآمال بل قدم بعض الاقتباسات للقارئ العربي لما تحمله من أهمية خاصة ناقلا إياها عن نصوص التي ترجمتها الجمعية الجغرافية الفرنسية إلى اللغة الفرنسية اذ سرد فيها الأحداث التي مر بها في رحلته واصفا جغرافيا المناطق التي مر بها هو وأبوه وعمه من جبال ومدن ومواقع تاريخية وعادات وتقاليد ونمط الأخلاق في كل البلدان التي زارها و العجائب و الغرائب التي ذكرها كوجود سفينة سيدنا نوح عليه السلام في أرمينية الكبرى وعن منطقة توجد بها بحيرة خالية من السمك الصغير و الكبير في سائر الأيام ما عدا يوم الأربعاء الذي يظهر بكثرة كأنه نمل ووصف الرحلة إلى فارس وتحدث عن مضيق هرمز دقيق مسافرا من بلد إلى بلد حتى سار إلى الصين واليابان ذاكرا كل مرآه ولفت انتباهه من آثار ومعالم وطرقات1.

كريستوف كلومب:

اختلف رأي الأوروبيين و الأمريكيين حول أصل كريستوف كلومب ومسقط رأسه فبعضهم يقول أنه ولد "كوكارو" بإيطاليا وآخرون يرون أن يرون أن مدينة "جنوة" هي مسقط رأسه وموطنه الأصلي من أب كان نساجا "دونييك كلومب" وأم تسمى "سوزان فونتانة روزاوا"

بدأ دراسته في جنوة وكانت الموضوعات التي استهوته الجغرافيا والفلك والكزموغرافيا والرياضيات وكان يعتقد أن مدام الأرض كروية فما هناك أراضي في غرب المحيط الأطلسي وإما أن ينتهي الأمر بالمسافر إلى شواطئ آسيا الشرقية ولتحقيق اكتشافه حمل كلومب ثلاث سفن وأبحر على رأسها من ميناء يالوش الأندلسي وذلك سنة 1492 ولما عاد كلومب إلى إسبانيا بعدما حقق اكتشافه العظيم استقبلوه بحفاوة مزينين الطريق بالأعلام وقد اندهش الناس من الطيور الغريبة والنباتات غير المعروفة وأكوام الذهب والفضة التي حملها معه. وعقب ذلك وضع الملكان "فرديناند وإيزبيلا" الكاتو ليكان أسطولا كبيرا يتكون من 17 سفينة مجهزة أحسن تجهيز فأقلع في

[1] ينظر، إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر ص37-48 .

25 سبتمبر 1495 وبعد الرحلة ثالثة ورابعة تعب الرحالة وأنهكه المرض وكان قد أستقبل في القصر الملكي بعد رحلته الأخيرة بكل برود وقلة اكتراث فالتجأ إلى "فالادويد" حيث قضى أيامه الأخيرة قبل أن يختم سفره ويقضي نحبه سنة 1506 بذلك انطوت صفحة المستكشف الذي يسمى بحق "البحار الأول". ومما يزيد من نبل اكتشافه أنه ل يأخذ شيئا من الكنوز الضخمة التي اكتشفها ومن بين اكتشافاته "جزر الأنتيل" و"كوبا" واكتشاف القارة الأمريكية"[1]

جيمس بروس:

ولد جيمس بروس في مدينة كينير في إسكوتلاند سنة 1730 وكان ثريا لما جمعه ن ثروة طائلة في التجارة ولما ماتت زوجته أصيب بحزن كبير فتخلى عن أعماله باحثا عن ما يلهيه ويبعد عنه غمامة الكآبة عن روحه وما كان ذلك إلا بالأسفار والمغامرات فبعدما زار مصر السفلى وأقام بالقاهرة توغل في بلاد نوبة والجشة واكتشف منابع النيل على أنه لم يعثر إلا على أهم روافد هذا النهر وهو بحر الغزال وبعد غيبة طويلة ظن الناس في إنجلترا أنه توفي خلال رحلاته لكنه عاد إلى بلاده سنة 1772 وتوفي في 1794.[2]

جاك كوك:

ولد "جاك كوك" في "مورتن" بولاية "يورك" بإنجلترا سنة 1728 من أب كان يشتغل أجيرا في مزرعة وبينما كان يتدرب على حرفة في مدينة "سايث" كان اهتمامه يتجه دائما إلى البحر فكانت متعته في مخالطة البحارة وذي الخبرة في شؤون البحار حيث ترك تدريبه والتحق بسفينة تتاجر في الفحم. ولما أعلنت الحرب بين فرنسا وبريطانيا في سنة 1757 انخرط كوك في سلاح البحرية البريطانية. وعين رئيسا للبحارة في حراقة سنة 1759 ثم شغل نفس العمل على متن سفينة بالرحلات إلى كندا ولما مح رتبة قبطان قام كوك بثلاث مهام بأمر من حكومة وقد جال العالم في غضون أسفاره البحرية. أول رحلة كانت إلى "تاهيتي" لرصد كوكب الزهرة حيث استكشف شواطئ نيوزيلاندا والمضيق المائي وخلال الرحلة الثانية سنة 1776 والتي دامت ثلاث سنوات كانت

[1]– تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 83-85.

[2] – نفس المرجع ص 203 .

مهمته أنداك في التحقق مما إذا كانت توجد أراضي في منطقة القطب الجنوبي وهناك اكتشف جزيرة "كاليدونيا الجديدة."

وفي سنة 1777 قام برحلة ثالثة كلف فيها بمهمة التأكد من وجود اتصال بين أمريكا وآسيا عن طريق أمريكا الشمالية الغربية ومن هذه الشواطئ حاول المستكشف الوصول إلى مضيق "بيرينج" إلى أنه غير طريقه نحو الجنوب إلى جزيرة "أوهيمي" وفي هذه الجزيرة توفي حيث قتل في معركة بين بحارة سفينته وبين الأهالي.[1]

- **بوجينفيل :**

ولد "بوجينفيل" في "باريس" في 11نوفمبر1729 من أب كان هينجل عقود. قد تابع دراسة الحقوق مدة من الزمن ثم تخلى عنها وفضل الالتحاق بالجيش وبرز خصوصا في الحملة العسكرية التي قادها "المركيز دومونتكالم" في كندا حيث نال رتبة كولونيل سنة 1759, ثم احتل "جزر مالوين" المقابلة لشواطئ الأرجنتين" وأنشأ فيها مستعمرة فرنسية. كما تولى قيادة عدد من السفن الحربية في أمريكا قبل أن يصبح قائد أسطول صغير سنة1753, وبعد ذلك عين قائدا للقوات البحرية في بريت إلا أنه استقال من منصبه وفي سنة 1796 أنتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية وقد خلع عليه نابليون لقب كونت وأصبح عضوا في مجلس الشيوخ, توفي سنة 1811.

أعتبر بوجينفيل من أبرز أعلام الاستكشاف الذين ساهموا بالكثير في الاستكشاف اذ أنقذ سمعة فرنسا القومية اذ بدأ رحلته الأولى حول الأرض بمجرد ما أجيب طلبه بأن يقود بعثة علمية للاستكشاف ومما يزيد من قيمة استكشاف هذا الرحالة سجل مشاهداته ودقة وصفه والصدق في السرد و الصور الشعرية مليئة بالإحساس لموهبته في الشعر وقوة إحساسه بالطبيعة والجمال[2]

جالوب دولابيروفر:

ولد جان فرانسوا لابيروز سنة 1741 وبعد خدمة في البحرية الملكية وأسفار عديدة في البحر أصبح ربان سفينة سنة 1780. وفي غضون الثورة الأمريكية بعثته الحكومة الفرنسية في مهمة لتدمير المنشآت البريطانية في خليج الهود صون و قد نجح في إتمام مهمته وقد بعثه لويس

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 213

[2] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 229-236 .

السادس عشر في مهمة للاستكشاف والقيام مهمته للاستكشاف والقيام برحلة حول العالم وقد انطلق من ميناء بريست سنة 1785وفي سنة 1788 انقطعت اخبارهم. بعد انطلاقهم من ميناء بريست توقفوا عند جزيرة مدايرة حيث قام بدراسة شواطئ جزر سالفاج القاحلة وشاهدوا رأس بركان تنيريف وفي 29سبتمبر اجتازوا خط الاستواء وحطوا في جزيرة سانت كاثرين استكشف القائد لابيروز شواطئ أمريكا الجنوبية حتى وصل إلى أرض جزر النار أين وجد أعدادا هائلة من حوت البالين ثم جزيرة باك وبعدها جزيرة أوصيهي فجريزة ساوهي وكلها أثارت اعجابه لمنظرها الخلابة وآثارها ..

في 2يونيو اكتشفوا ميناء عميق لم يبق أن عرفه ملاح من قبلهم على شاطئ الشرقي للقارة الأمريكية ومن هناك أرسوا سفينتهم عند جزيرة تقع قريبة من الميناء محاطة بجبال شديدة الارتفاع تغطي قممها الثلوج حيث استولى لابيروز على تلك الجزيرة بعد قبوله عرض رئيس الجزيرة بأن يبيعها له مقابل كميات من الأقمشة وسكاكين وفي 14نوفمبر دخلوا المحيط الهادي مارين بمختلف جزر المحيط متجهين إلى بحر الأبيض حيث قام ببرنامج واسع النطاق للبحث العلمي قدم به مساهمة كبيرة للجغرافيا وعلم الاجناس والنبات. وقد مشي ببطيء عند شواطئ كاتشاتكا وتوقفوا في ماكاو حيث استراحوا ومن هناك رحلوا إلى أستراليا ثم جزر السلمون بعدها غينيا الجديدة ثم كاليدونيا وقد قام باستكشافات في جميع الجزر التي زارها مارا بمضيق طوريس الذي يجمع المحيط الهادي و الهندي. وفي 9ديسمبر اكتشفت بعثة لابيروز جزيرة سموها "ماوونا" كانت محاطة بصخور شعب المرجان وفيها عددا من القرى التي يسكنها الهنود الحمر ومن هذه الجزيرة اتجه القائد "لابيروز" في 21نوفمبر إلى جزيرة غرب "موونا" تسمى "أويولافا" وهناك إكتشفوا أرخبيل أطلق عليه اسم أرخبيل الملاحين وقد غادرت البعثة هذا الأرخبيل في أوائل يناير 1988 اذ تقف المذكرات التي سجلها "لابيروز" خلال هذه المرحلة يوم 26 من هذا الشهر وبعدها اختفت أخبارهم ولم يعرف عنهم شيء إلا أن قام الرحالة و المستكشف الإنجليزي "دومنيت دورفيل" برحلة في "أرخبيل فانيكور" في مهمة للبحث عنهم حيث عثر بفعل لى بقايا سفينتهم بكل من عليها من بحارة و ضباط راقدين إلى الأبد إذ وقعوا ضحية لإعصار شديد.1.

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 239- 246.

جيرال دونيرفال:

اسمه عند الولادة "جيرار لابرون ويدعى جراردونيرفال" كاتب فرنسي ولد في "باريس" 1808=1855 وكان على صلة وثيقة بالكتاب والشعراء الرومانيين وكانت تختلج نفسه عواطف قومية وجدت تعبيرا عنها في عمله الأدبي الذي يتم بالعمق والصدق والإخلاص في نفس الوقت وقد كانت أسعد فترة في حياته هي التي قضاها في الأرياف حيث عرف جوا هادئا في أحضان الطبيعة ويظهر ذلك من قصائده الأولى اذ كان كاتبا وشاعرا ومترجما ورحالة ومن أهم أعماله الأدبية قصة "أوريليا" سنة1855 وقد قام برحلة إلى "تركيا" ثم "مصر" سنة 1851 حيث وصف لنا عيد الفطر في "إسطنبول" وقصور السلطان وحفلات عيد الأضحى في "تركيا" وكذا الاحتفالات الخاصة في مصر و الراقصات وصفا دقيقا وتعريفا شاملا.[1]

ميشال دانصون:

ولد "ميشال دانصون" في مدينة "إبكس" في ولاية "بروفان" ومنذ صغره كان يبدي ميلا قويا إلى العلوم الطبيعية وهذا كان هدفه من السفر أولا و هو إشباع رغبته في البحث ن النباتات والحيوانات الإفريقية وقد وجد مبتغاه في "سينيغامبيا" حيث قضى فيها سنوات كثيرة ثم عاد إلى بلدة بأندر مجموعة من النباتات في أوروبا كان ينتمي إلى أسرة ثرية بورجوازية إلا أن الثورة الفرنسية قد قضت على ثروتهم وبقي للعالم "دانصون" دخل من غير معاشه السنوي الذي حصل عليه من الإدارة الثلاثية اعترافا بفضله في الاستكشاف ومساهمته في تقدم علم النبات وقد توفي سنة 1806..

غادر "أدانصون" بلاده في 03 مارس 1749 ونزل على "شواطئ السنغال" في 25 أبريل من السنة حيث ربط صداقات مع الأهالي ليغوص في طريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم فقد سجل ملاحظات كثيرة عن السود من سكان غامبيا و السنغال. واصفا رجالهم ونسائهم وعاداتهم وأكلاتهم و لباسهم, وبعد فترة من التجوال على الشواطئ صعد مجرى نهر السنغال في رحلة استغرقت ثلاثة أيام حتى وصل إلى القاعدة التي أقامها الفرنسيون في "بودور" وأقام شهرا تمكن ي

[1]- نفس المرجع ص 249- 264 بتصرف

من اثراء مجموعة من النباتات التي جمعها و غادر بعد ذلك إلى منطقة صور أين انغمس في دراسة الأشجار والنباتات لكن اضطر للانتقال إلى جزيرة جوي ثم إلى الرأس الأخضر وهناك اشتغل ببحث بعض الصخور الغربية وبأنواع من الصدف ومن هناك انتقل إلى "بورتدال" إذ عثر على عدد من الطيور غريبة الأنواع والأشكال وفي شهر أكتوبر عاد إلى قلعة "بودور" حيث شاهد تمساحا وأتيحت له الفرصة لمشاهدة فرس البحر في إحدى جولاته وقابل سربا من الأفيال الوحشية والأجمل لقاؤه مع نمر من أضخم النمور الإفريقية والذي كاد أن يفترسه أثناء نزهة له في احدى الغابات الصغيرة. وفي 17ديسمبر إلى السنغال والتحق القاعدة التي احتفظ بها الفرنسيون في البردة وهناك كان موضع عنايته شجر "قرام". الموجود بكثرة على ضفاف "نهر السنغال" وأيضا درس عن كثب ظاهرة الجراد الخرب للزراعة في إفريقيا 1.

بعد ذلك اتجه إلى قرية "وفيك" إلا أنه مل بسرعة لأن الأرض كانت مليئة بالسباع و النمور و الذئاب التي منعته من التجول والاستكشاف. وفي 5 سبتمبر 1753 عاد إلى السنغال ومن هناك أبحر إلى جزر "أرصون" فوصل بريت في 4يناير 1754 محملا بعينات مدروسة من النباتات والحيوانات والطيور الإفريقية وبذلك كان له فضل كبير في الاستكشاف وفي البحث العلمي2.

جوستاف فلوبير:

ولد جوستاف فلوبير في روان سنة 1821 و توفي سنة 1880 وقد فرض عمله الادبي نفسه . كان منذ نعومة اظفاره يحلم بالسفر و الاستكشاف في الشرق فقد كان يمثل الامكانية الأخيرة للهروب من مشاكله النفسية و من بيئته التي لم يكن يسترح اليها ولا هي استراحت له وقد ازدادت رغبته في التوجه نحو الشرق بما قراه عنه من شعر و قصص فالشرق الخيالي و الرومانسي كان يمثل لفلوبير عالم اجمالي قائم بنفسه فيه السلام والهدوء و الطبيعة البكر يشمل مصر الهند الأردن الصين ماليزيا اليابان و يضم خلاصة التاريخ البشري و عالم مجهول مليء بالأسرار و يجمع مختلف الحضارات .تصادق مع دوكام حيث كان يروي له اخبار رحلته الطويلة الى الشرق فقد سافر الى القسطنطينية سنة 1844 و بعدها اقام هناك مدة وعاد الى فرنسا قبل ان يستأنف الى الجزائر .وفي خريف سنة 1846 شرع في كتابة قصته غواية القديس أنطوان و قد كان هذا الكتاب

ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 267-272

[2]ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص267-272 .

تجسيدا للرغبة العارمة الكامنة في نفسه الا انه لم يلقى الاستحسان من قبل صديقه دوكام و صديقا اخر فثار على هذا الحكم الصعب على عمل دام ثلاث سنوات بدل كل جهوده و احلامه عليه الا انه رضخ للأمر الواقع و صرف انتباهه عنه و لم ينشره .سافر الى الإسكندرية على متن باخرة من مرسيليا و بعدما توقفت في جزيرة مالطا لمدة من الوقت وصل الى أراضي الشرق في 15 نوفمبر 1845 ومن الإسكندرية صعد الى القاهرة مستكشفا الحقول و القرى المصرية على ضفاف النيل و قد ادهشه اختلاف العادات و التقاليد ونمط الحياة التي يعيشها الناس في الشرق عما هي في الغرب وقد تجول في الكرنك بين المعابد و الاثار الفرعونية و الاهرامات و ابي الهول و لا ننسى وقوعه في حب امرأة مصرية اسمها صوفيا. وفي 19 يوليو 1850 وصل فلوبير و صديقه دوكام الى فلسطين .

و دخل مدينة القدس لكن سرعان ما استغرب لان ما فيها من معالم و اثار دينية لم يثر في نفسه أي عواطف دينية لما شاهده من استغلال الشعور الديني لأغراض تجارية . واصل رحلته فزار الأردن وعبر البحر الى جزيرة رودس حيث قام بتحرير رسائل الى فرنسا وضع فيها مخططات لثلاث روايات من بينها رواية سلامبو ومن هناك سافر اتجاه القسطنطينية زائرا عددا من مساجد المدينة الغنية بالآثار الدينية كما زار السراي ومن هناك قصد أثينا حيث اعجب بآثار الحضارة اليونانية و اساطيرها التي دوما ما كانت تشغل مشاعره ومن أثينا انتقل الى إيطاليا و هناك زار نابلي التي ترك لنا وصفا شيقا لمعالمها الطبيعية ثم روما التي تجول في كل احيائها. ومن إيطاليا عاد الى فرنسا بثروة زاخرة من الانطباعات التي ملات نفسه اعجابا بالعقلية الشرقية و كراريس عدة و ضخمة سجل فيها ملاحظاته يوما بعد يوم مخلفا بعده مذكرات شكلت هيكل عظمي لكتابه الموسوم ب: رحلة الى الشرق .1

- **هورنمان :**

كان متطوعا مع جمعية افريقية للقيام بعمليات استكشاف للصحراء اذ يعتبر من اكبر المستكشفين لما ترك لنا هذا الرحالة من سجل مليء بالأحداث التي صادفها منذ بداية رحلته حتى نهايتها و قد ترجمت هذه الرحلة من الإنجليزية الى الفرنسية تحت عنوان : voyage dans l'Afrique septentrionale depuis le Caire jusqu'à Mourzouk

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 275 – 283 .

الا ان نجاحه يبقى مجهولا لمدة طويلة فقد غطت عليه اخبار حروب نابليون الأول المثيرة للخيال .وصل هورنمان الى القاهرة سنة 1797 ومن هناك كان يفكر في السفر اتجاه فزان و مرزق لكن لم يساعفه الحظ فقد وقع الاحتلال الفرنسي لمصر بقيادة نابليون الا انه في فترة ما دخل هورنمان في اتصال مع العلماء الفرنسيين الذين رافقوا الحملة و قد وصل مشروعه الى نابليون بونابرت الذي اعجب به بل ساعده ووعده بتحويل تقاريره عن رحلته الى لندن ووضع ختم الامبراطور حيث استطاع التوغل في واحة سيوه مسجلا ملاحظاته بالليل متجنبا اثارة اهتمام أي احد برحلته و بعد شهرين على مغادرته القاهرة وصل الى مرزق و هناك تركته القافلة مع رفيق له و قد نال منه التعب وانهكت الحمى جسمه لذلك قرر الاتجاه الى شمال ليقيم في طرابلس حيث سجل مذكراته عن الجزء الأول من رحلته و بعد مرور ثلاث سنوات عاد الى مرزق و من هناك اتجه الى النيجر ووصل الى النهر الافريقي العظيم و انهى استكشافات مونجوبارك .

مات المستكشف الألماني و عمره لا يتجاوز الثامنة و العشرين و قد سجل على انه اول أوروبي اجتاز الصحراء [1]

- **جوزيف ريتشر :**

وجه جوزيف ريتشر من قبل الحكومة البريطانية سنة 1818 رفقة بعثته الى الصحراء و قد بذات رحلتهم من طرابلس ومن هناك الر مرزق لكن مهمتهم انتهت بسرعة لموت رئيسها وقد خلفت هذه البعثة مهمة رسمية بريطانية أخرى جنوبا حتى مدينة غات قبل اتجاهها الى بحيرة تشاد التي توفي على ضفافها رئيسهم اودني سنة 1824 فقد تم بهذه الرحلة الاتصال بين شاطئ الصحراء الشمالي و الجنوبي و قد امكن الوصول عبر الصحراء الى افريقية الغربية كما تم اكتشاف بحيرة تشاد[2]

- **الميجور لانج :**

الميجور لانج اسكوتلندي الأصل كانت له بعض التجارب في الرحلات حيث قام باستكشاف المناطق الشمالية في رحلة حملته حتى ضفاف نهر النيجر .وقد وجهت له الحكومة

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 290-292 .

[2] نفس المرجع ص 292-292 بتصرف

البريطانية مهمة الى الصحراء الا اته قد نس ذلك اذ دخل في مغامرة حب مع ابنة القنصل البريطاني انتهت بزواجه الا انه واصل رحلته ووصل الى تمبكتو سنة 1926 و ذلك بعد مرور خمسة عشر شهرا من بدا رحلته من طرابلس الا انه قد قتل في مكان يقع على مسيرة يومين من تمبكتو[1]

- **روني كاييه :**

كان روني كاييه ابن الخباز مولعا منذ صغره بقراءة كتب الرحلات و الاخبار و الاسفار مما جعله يمضي في رحلة الى السنغال على متن سفينة على هيئة خادم لفقره سنة 1818 الا ان السفينة قدر لها ان تغرق عند شواطئ موريتانيا ولم ينجو منها الا بأعجوبة و لما وصل الى السنغال حاول الوصول الى البعثة الإنجليزية للاستكشاف التي تراسها الميجور جراي ولكن محاولته باءت بالفشل فعاد الى فرنسا للعلاج ثم في سنة 1824رجع الى السنغال عازما الدخول الى تمبكتو لكن فقره كان حائلا بينه و بين حلمه لذلك التجا الى حاكم سيراليون الإنجليزي الذي عينه في وظيفة و خصص له راتبا سنويا ساعده في التجول و في نفس الوقت أعلنت جمعية الجغرافية الفرنسية على مكافاة لأول فرنسي ينقل ملاحظات دقيقة عن تمبكتو و كذلك بدا كاييه رحلته الى هناك سنة 1827مدعيا انه مصري تربي في فرنسا منذ الصغر وفي 1828 وصل الى نهر النيجر ومن هناك دخل تمبكتو حيث اقام أسبوعين جمع فيها كل اسرار المدينة الافريقية فكان اول أوروبي يصف المدينة بدقة في كتابه : journal d’un voyage à Tombouctou et dans l’intérieur de l’Afrique [2]

- **دافيد صون :**

[1] نفس المرجع 293-294 بتصرف

[2] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 294-295 .

طبيب انجليزي حاول الوصول الى تمبكتو سالكا طريق مغايرة لمن سبقوه فقد قرر القيام بهذه الرحلة من افريقيا الشمالية وليس افريقيا الغربية ففي 1835 وصل الى طنجة ثم رحل الى مراكش ووصل الى حافة الصحراء شهر ابريل من السنة و بعد انتظار ستة اشهر للبدا في رحلته اخبره القنصل البريطاني ان هناك مخاطر تهدد حياته لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة رحلته فبعد مرور عام على نزوله في طنجة شرع في تنقلاته منطلقا من وادي نون مع قافلة من التجار و لما وصل الى عرق ايجو اغتيل في 1846 مخلفا وراءه مذكراته التي سجل فيها احداث رحلته التي لم تكتمل فنشرها اخوه في لندن بعد موته [1]

- **ريتشارد صون :**

في 1845 بدا ريتشارد صون رحلته متجها الى غدامس رفقة قافلة بشخصيته الحقيقية على عكس الكثير من المستكشفين الذين تستروا على شخصياتهم .فأقام هناك أربعة اشهر قبل ان يتجه الى غات حيث لقى حسن الاستقبال و المعاملة في كلتا المدينتين و اما قبائل الطوارق التي مر بها عرضوا عليه ان يساعدوه في رحلته لكنه رفض و عاد الى طرابلس عن طريق مرزق بعد رحلة دامت ثمانية اشهر جمع فيها الكثير و كان لها صدى قوي في إنجلترا لإدراكهم أهمية الصحراء التجارية من جهة و من جهة أخرى اثارته لعواطفهم الإنسانية من خلال ذكرهم لتجارة الرقيق الواسعة التي كانت بين افريقيا الغربية و طرابلس .نتيجة لهذه الرحلة نظرت الشركات البريطانية و التجار نظرة امل الى الطوارق و غيرها من المناطق المجهولة و هي تفتح أبوابها لتستقبل البضائع الإنجليزية و تبعا لذلك قرر ريتشارد صون القيام برحلة استكشافية ثانية الا انه كان بحاجة للمساعدة من العلماء و لسد هذه الحاجة ذهب الى باريس ليبحث عمن يشاركه في بعثته الا انه فشل في النهاية .[2]

- **هنري بارث:**

[1] نفس المرجع ص 295-297 بتصرف

[2] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 297-298 .

ولد بارث في عائلة عريقة من ملاك الأرض في ولاية تورينخ وبعد مراحل الدراسة الأولى التحق بجامعة برلين في سنة 1839 حيث درس الفلسفة وفقه اللغة وعلم الحفريات وكان مولعا بكتب روبينصون كروزو ورحالة كاييه الفرنسي ورحلة مونجو بارك وقد تعلم اللغة العربية وعود نفسه على نظام قاسي من التدريب الرياضي وذلك استعدادا لمهمة التي عزم على القيام بها يوما ما.

بعد حصوله على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1845 قام برحلة إلى ضفاف البحر الأبيض ثم رحل إلى شمال افريقيا بدأها من طنجة و توغل فيها ثم سافر إلى الجزائر بعدها تونس وطرابلس وبرقة ولدى وصوله إلى الحدود الصحراوية الليبية المصرية هجم عليه البدو وأطلقوا عليه الرصاص وأصابوه وقد بقيت الرصاصة مرافقة جسده طوال حياته وعلى الرغم من ذلك لم يستسلم بل واصل برحلته نحو: مصر, فلسطين, آسيا الصغرى, جزيرة قبرص, جزيرة رودس. مهتما بالتاريخ والحفريات والأثنوجرافيا وقد جمع معلومات كثيرة عن البلدان التي تجول فيها مما أهله لتعاقد مع الحكومة البريطانية في نطاق بعثة ريتشارد صون إلا أن والده رفض خوفا عليه من إرهاق السفر وما كان على بارث إلى الرضوخ لرغبة والده مرشحا لهم عالما ألمانيا اسمه أدولف أفرويج إلا أن البارون بونزن تدخل وأقنع والد بارث فانظم إلى البعثة مع اوبرويج وغادروا رفقة ريتشارد صون في 25مارس 1850 وبعد ذلك بست سنوات وستة أشهر عاد بارث إلى طرابلس وحيدا فقد توفي الجميع[1]

- **دوفيريي :**

ولد هنري دوفيريي في باريس سنة 1840 أرسله والداه إلى ألمانيا لدراسة التجارة وهو لا يتجاوز

الرابعة عشر من عمره إلا أن ذكاءه كان سابقا لعمره فقد تعلم لغتين مع بعض الألمانية والفرنكية

كما كان يسجل ملاحظات عن حياة الطيور وعن النبات و قام أيضا برصد الأحوال الجوية في ولاية بافاريا أما دراسته فقد أتمها في مدرسة التجارة لكن لم يكن تستهويه كثيرا بل كان همه وأمله ينحصر في السفر إلى افريقية ففي سنة 1857 قام برحلة تمهيدية إلى الجزائر زائرا مدينة الجزائر والهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس ولما عاد إلى بلاده بعد هذه الرحلة نشر دراسة في مجلة الجمعية الشرقية في برلين عن القبائل البربرية وهو لا يتجاوز السابعة

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 298-307

عشر من العمر. وفي سنة 1859 نزل في مدينة الجزائر متجها نحو غرداية بعدها القليعة التي لم تكن قد وطأتها أقدام أوروبية قبله حيث قام ببعض العمليات الفلكية هناك في ظروف صعبة جدا حيث تعرض لطرد وواجه الشعابنة الذين أقسموا على ذبحه إلا أنه خرج منها فائزا اذ يقول:" قد تبدو رحلتي إلى القليعة لأول وهلة هزيمة حيث أنني طردت من هذه المدينة و اضطررت تحت التهديد إلى الخروج منها ليلا في ظروف مشينة ومع ذلك فأنا أعتبر هذه الرحلة ناجحة."

وبعد هذه الرحلة سافر إلى جنوب قسنطينة وتونس وفي رحلته إلى الطوارق قام بعدة أبحاث في كل مكان مر به متعرفا على موقعه الجغرافي وتقاليده وعاداته ثم اتجه إلى طوارق الشمال الذين يسكنون جبال تاسيلي سالكا طريق غدامس حيث التقى ب إمينوكال إيخنوكن وشخصية ثانية بارزة كان دليلا للمستكشف الميجور لانج يسمى الشيخ عثمان وصل المستكشف دوفيريي إلى غدامس رفقته سنة 1860 شهر أغسطس التي كانت تعتبر قاعدة انطلاقه وفي نيته أن تكون غات هي مرحلة التالية إلا أن الظروف آنذاك في تلك المنطقة لم تكن جيدة مما جعله يمشي في طريق تمتد على شاطئ إلى طرابلس راجيا من والي تركية أن يصدر إلى جميع موظفي الولاية في المناطق الصحراوية أن يتولوا حمايته و يكرمونه وبعد ما تحصل على وثيقة تنص على ذلك عاد إلى غدامس حيث وجد مسؤولين فرنسيين كبار أخبروه بحاجة الإمبراطور نابليون الثالث إلى وثائق عن الصحراء وذلك لإعداده كتاب عن الصحراء في عهد الرومان. قام دوفيريي برحلته من غدامس إلى غات رفقة إيخنكوكن والشيخ عثمان سالكا طريقا لم يسلكها أحد من قبله وقد سجل آنذاك عدد سكان غات الذي بلغ 4000 نسمة مختلطين بين عرب وبربر وسود لكنهم لم يحسنوا استقباله فقد منعوا عليه خدمة الحصول على الماء ورفضوا بيعه أي شيء وذلك لتخوف أهاليها من أن تقوم فرنسا التي استقرت في الشمال أنداك من تحويل الطرق التجارية لفائدتها على عكس الطوارق الذين استقبلوه بحفاوة اعتبروه منهم اذ تعلم لغة تيماشيق وحروفها الهجائية متنقلا معهم في ترحالهم وهو يسجل ملاحظاته حولهم وبعد سنة غادر متجها إلى مرزق حيث فكر في أن يرحل إلى الهجار لكن قبل ذلك رأى أن يعود إلى باريس لتبييض الملاحظات التي سجلا عن رحلته وكذلك سافر من مرزق إلى طرابلس رفقة إيخنوكن ومن هناك إلى الجزائر عبر باخرة حيث طلب منه الوالي العام تقريرا عن رحلته مرفقا بخريطة وبعد إنهائه لهذا العمل أصيب بحمى التيفويد لثلاثة أشهر وبعد شفائه فقد الذاكرة وهو في سن العشرين إلا أنه ولحظه كانت ملاحظاته ومذكراته مكتوبة بعناية تامة حيث لم يمر على عودته ثلاث سنوات حتى نشر كتابه الموسوم ب "les touareg du nord" والذي

لازال من الوثائق الأساسية التي لا يستغنى عنها باحث حيث يعتبر دراسة شاملة لمنطقة الطوارق من حيث الجغرافيا الطبيعية والأحوال الجوية والعادات والتقاليد واصفا إياها بدقة متناهية وفي فترة لاحقة استعاد دوفيريي ذاكرته في نفس انهالت عليه امارات التقدير والتبجيل من الحكومة والهيئات العلمية.1

في الحرب 1870 التي خاضها وقع أسيرا في يد الألمان حيث جرب كل أنواع المذلة والحرمان ولكن لابد من ذكر أن العالم رونان قد تدخل عند بداية حرب 1870 طالب بإعفائه من الخدمة العسكرية لكن القانون هو القانون لكن ذلك لم يكن القانون بالنسبة له فلدى عودته إلى فرنسا وضع كتابا كبيرا عن الطرق الدينية الإسلامية كما نشر عددا من الوثائق عن جغرافية إفريقيا التي أصبحت مرجعا لكثير من الدراسات بعده.

وعند طرح مشروع فتح بحيرة بقناة من البحر الأبيض المتوسط في جنوب تونس سنة 1874 عين دوفيريي عضوا في اللجنة التي كلفوها بدراسة المشروع الذي لعب دورا محويا فيه, وفي سنة 1892 مات منتحرا نتيجة للمرض وخيبة الأمل والانهيار العصبي2

جيرهارد روهلفس:

ولد في ضواحي مدينة بريم سنة 1832 وهو رابع ابن بين سبعة أطفال كان طفلا ثائر الطبع لم يحتمل الطاعة لا في بيته ولا في مدرسته وسرعان ما انخرط في جيش دويلة بريو الصغير ونال رتبة ملازم أول وعند مغادرته حاول دراسة الطب إلا أن طبعه البوهيمي غلب عله فاتجه إلى طريق الأسفار في أوروبا أولا ثم في إفريقيا حيث انخرط في اللفيف الأجنبي حيث كان يأمل أن يرضي حبه للمغامرة وبعد سنوات في الجيش شارك في بعض العمليات ببلاد القبائل هناك تعلم اللغة العربية واكتسب عادات وتقاليد أهاليها و سنة 1861 اتجه إلى طنجة على متن باخرة كان حلمه أن يصل إلى تمبكتو ولكنه على عكس الرحالة الذين رحلوا بوصفهم مسحيين قام روهلفس بحلق رأس وإعلان إسلامه وسنة 1862 بدأ رحلته الصحراوية وهو لا يملك سوى خمس جنيهات أسترليني وقد زار تافيلات إلا أنه عانى من تشكيك أهلها وعدم اقتناعهم بإسلامه ليس هذا فقط فقد اعتدى عليه دليله و تركه في الخلاء على أسس أنه ميت مع ذلك تشجع وواصل رحلته في

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 307-314 .

[2] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص307-314 .

اتجاه البحر الأبيض عبر جنوب وهران وعلى رغم من فشل محاولته الأولى و المخاطر التي واجهها الا أنه قرر قيام برحلته من جديد إلى تمبكتو عن طريق الصحراء الجزائرية ولكن ثورة أولاد سيدي الشيخ اعترضت طريقه آنذاك فسلك طريقا أخرى من المغرب الأقصى مستفيدا من بعض العلاقات التي كونها هناك من قبل فعاد إلى تافيلات ودرس مجموعة من الواحات ثم واصل رحلته إلى توات ثم إيغلي بعدها بني عباس وأدرار ونمن هناك إلى الشرق و سنة 1964 دخل عين صالح, كان المستكشف الثاني الذي دخل هذه الواحة بعد أميجور لانج الذي لم يعد من رحلته وعليه بقي وصف المستكشف الألماني لهذه المنطقة هو الوصف الوحيد الذي وصل إلى العالم قبل الاحتلال الفرنسي لها ومن عين صالح إلى غدامس ثم طرابلس بعد قضاءه نحو ستة أشهر في المغرب الأقصى وستة أشهر أخرى في الصحراء وهذا كله بمبلغ زهيد منحته إياه مجلس شيوخ بريم و الجمعية الجغرافية في لندن وبهذا نجح روهلفس في اختراق الصحراء من المغرب الأقصى حتى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية.[1]

أوسكار لانز:

ولد سنة 1848 بدأ حياته في معهد الجيولوجيا في فيينا قام برحلته الأولى إلى الجابون في سنه السادس والعشرين إلا أنه اضطر إلى العودة لبلده النمسا بعد منافسته الحادة بينه وبين المستكشف الفرنسي برازا ونفاد موارده لكن لم تمر سنتين إلا وكلف من قبل الجمعية الإفريقية الألمانية بمهمة استكشافية في المغرب الأقصى للبحث في سلسلة جبال الأطلس فقام بزيارة المستكشف هنري دوفيري في باريس ليتعين بخبرته وكان لحظه اليهودي المغربي مردخاي بن سرور الذي كان له معرفة دقيقة بالصحراء المغربية وعند نزوله في طنجة كان حظه أوفر فالتقى بأبي طالب أحد أقارب الأمير عبد القادر فقد استفاد منه كثيرا فكان له عونا وحاميا ومترجما في طريقه إلى الجنوب وقد كان لانز قد حصل على رسالة توصية من وزير ألمانيا المفوض في طنجة موجهة إلى سلطان الغرب الأقصى مكنته من التجول بسلام في الأراضي المغربية كما وصل إلى تندوف ووثق علاقاته بالشيخ علي اذ صرح فيما بعد بأن لولا مساعدتة ورعايته لم يكن يستطيع الوصول إلى هذه العاصمة ومن هناك سافر رفقة الحاج علي أبو طالب وشخص إسباني مستعرب بينيتز وصولا إلى تمبكتو التي كان لانز رابع أوروبي مستكشف لها ولاقى ترحيبا ن سكانها ما جعله يفكر في جولة

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 314-316 .

إلى الجهار لكن نضوب موارده المائية جعله يرفض الفكرة ويقرر السفر إلى السنغال حيث عانى كثيرا هناك وأخذوه أسيرا مما اضطره إلى دفع فدية لنفسه وعليه عاد لانز من هذه الرحلة بثروة عظيمة من المعلومات وملاحظات سجلها عن الصحراء والصحراويين في كتابه :

Tombouctou voyage au Maroc au Sahara et au soudan.

اذ اعتبرت رحلة لانز عملا علميا جليل القدر لم نحمل دوافع سياسية و لا تجاريه إلا أنه لم يسلم من حملات الصحفة الفرنسية التي اتهمت بأنه طليعة الجيش بروسي للغزو والاستعمار في الصحراء.1

- **الآنسة أليكسندرين:**

لصعوبة العيش في معظم مناطق الصحراوية لم يصل لها إلا القلة من المستكشفين و العلماء و معظمهم رجال إلا فتاة هولندية تحدت الصعاب أليكسندرين تيني استقرت في القاهرة في منزل عربي إلا أن قررت استكشاف الصعيد المصري مع أمها و عمتها البارونة فان كابلن فنظموا أسطولا صغيرا زودوه بكل احتياجاتهم متجهين إلى النيل الأبيض ثم مستنقعات بحر الغزال المشهورة إلا أنهم واجهوا صعوبات كثيرة من بينها وفاة عمتها بالحمى و الإجهاد وكذلك تعبها هي لكن لم تستسلم بل زادتها عزيمة و حافز مقررة السير إلى البحيرة التشاد عن طريق مرزق . وهناك عرض عليها أمنكول زعيم الطوارق أجار تنظيم رحلتها و حمايتها وما كان منها إلا موافقة إلا أن فريقا معاديا لزعيم أمنوكل تعرضوا لها في الطريق فقتلت وهي شابة في سن الثلاثين ولم يبقى منها إلا شهرتها العارمة في المناطق التي مرت بها بأخلاقها و عطفها**2**.

- **شارل دوفوكو:**

يعد شارل دوفوكو أكبر مستكشف ديني للصحراء أخطر المبشرين قاطبة لعقليته العلمية وما تحمل نفسه من شعلة متقدة من الإيمان وشعوره بلذة في المشاكل وفي التضحية بالراحة ومتع الحياة.

[1]- ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 321- 324

[2] نفس المرجع ص324-325 بتصرف

بدأ استكشافاته برحلة إلى المغرب الأقصى 1883=1884 جامعا معلومات دقيقة وعزيزة اعتبرت دليلا قيما وموثوقا به. وبعد عودته إلى فرنسا قام بتحرير مذكراته عن هذه الرحلة ثم قام برحلة إلى الصحراء الجزائرية من المغرب إلى الشرق عبر سلسلة الواحات: الأغواط, غرداية, القليعة, وارجلة, توجورت وانتهى به المطاف إلى الجنوب التونسي وإلى قابس.

كان شارل دوفوكول يهتدي بمعالم الاستكشاف التي وضعها دوفيريي الذي كان على اتصال دائم به ومعظم أحاديثهم حول الطوارق ولكن رغم ذلك كانت إقامة دوفوكول الأولى في بني عباس الواحة التي تمتد في جنوب وهران حيث استقر وشرع في نشاطه فقد نالت هذه الواحة إعجابه وفي سنة 1905 أقنع لايبرين صديقه دوفوكول بأن يرافقه في رحلة استطلاعية عبر قبائل الطوارق والمناطق المجاورة للهجار التي كان الفرنسيون قد دخلوا اليها منذ نحو عامين فقط استفاد فيها من فرص الاتصال بالسكان وتسجيل ملاحظاته العلمية عن الصحراء على عكس ما وضعه أثناء جولته في الصحراء المغربية التي وصفها في كتابه المعنون بـ la reconnaissance au Maroc وكذلك قامت هذه البعثة ببعض الأعمال التي تناولت الطبوغرافيا والجغرافيا وأحوال الطقس والأهم بالنسبة للمبشر دوفوكول هو إنقاد أرواح الطوارق من عذاب جهنم فقد اشترك في بعثة ثانية متجهة إلى تمنراست حيث قرر بناء ديرا له حيث بدأ بطريقة بسيطة في التبشير بالدين المسيحي بين المسلمين في الطوارق حيث كان يغري الأطفال بالسكر لاعتقاده بأنه بإمكانه الدخول إلى نفوس الآباء عن طريق الأطفال كما اهتم بعناية بلغة تيماشق لغة الطوارق و بكتابتها تيفيناغ التي تحتوي على حروف اللغة الفينيقية وجمع وثائق هامة في هذا الحقل حيث أهم مؤلفاته في هذا الموضوع "نحو لغة تافيناغ" وقاموس فرنسي طوارقي اغتيل سنة 1916.[1]

كان هذا موجز صغير عما أوصله لنا المؤرخ إسماعيل العربي عن أشهر الرحالة واصفا رحلاتهم واحداثها وأسلوبهم في الكتابة كما اهتم بتعريف حياتهم ونشأتهم و مؤلفاتهم مضيفا لأدب الرحلة الكثير .

الرحلة: بين الأدبية والأنثروبولوجية والأثنوغرافية و الطوبونيمية :

[1] إسماعيل العربي تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر المؤسسة الوطنية للكتاب شارع زيروت يوسف الجزائر، ص 342- 345

تعد الرحلة بمثابة منابع ثرية لمختلف العلوم بل يمكن القول بأنها بحر المعارف و الإكتشاف وسل حقيقي لمظاهر الحياة المختلفة إذ أن الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على إمتداد أزمنة متتالية فالرحلة تتطلب إتساع المعارف وتنوعها لأنها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور بل ورصد الظواهر الاجتماعية المألوفة لديهم وتشكل الرحلة في نظر الدارسين والمختصين مادة خام للكثير من العلوم.

- **مفهوم أدب الرحلة:**

يعتبر أدب الرحلة شكل أدبي تتداخل فيه الكثير من الأجناس الأدبية لذلك يصعب تحديد تعريف دقيق لهذا الفن المتشابك الذي يجمع بين الوصف والسرد وغيرها من الأساليب إضافة إلى تنوع مادته لذلك كثرت تعريفاته فأدب الرحلة هو ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ الرحلة كموضوع أو بمعنى آخر هو ذلك الفن الذي يصور فيه الرحالة كل ما شاهده أثناء رحلته في أماكن وبلدان وممالك ومسالك وينقل عادات وتقاليد خاصة بمجتمعات وشعوب نقلا تصويريا معمقا بأسلوب تعبيري[1].

- **مفهوم الأنثروبولوجيا:**

إن لفظ أنثروبولوجيا anthropology هي كلمة مشتقة من أصل يوناني مكون من مقطعين anthropos ومعناه الإنسان و locos وهي علم وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم و أنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة ويحاول التنبؤ بالمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل[2]

[1] مجلة انتربولوجيا الأديان المجلد 16 العدد 02 تاريخ 2020/06/15 ملامح الانتربولوجية الاجتماعية والدينية في ادب الرحلة –رحلة ابن جبير انمودجا– الطالبة الدكتورالية مجاهدي زوليخة – جامعة تلمسان

[2] الدكتور عيسى الشماس – مدخل الى علم الانسان الانتربولوجي– من منشورات اتحاد الكتاب العرب– دمشق 2004–ص 14-13

كما تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنها علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا أي أنها لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته أو منعزل عن أبناء جنسه إنما تدرسه بوصفه كائنا اجتماعيا بطبعه.

- **مفهوم الإثنوغرافيا :**

كلمة أثنوجرافيا هي كلمة معربة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة وتهتم الأثنوجرافيا بتناول جميع أنماط السلوك التي تكون ثقافة ذلك المجتمع أو تلك الجماعة التي عادة ما تنتمي إلى مجتمع المحلي كالعشائر متضمنة مجموعة القيم والتقاليد والعادات والآداب والفنون وكل ما يندرج تحت كلمة ثقافة ولا ننسى أنها فرع من فروع الأنثروبولوجي1.

- **مفهوم الطوبونيميا:**

يرجع أصل كلمة الطوبونيميا إلى الكلمة الإغريقية toponymie وهي كلمة مركبة من topoتعني المكان و nymie بمعنى الاسم وبترجمة كلمة طوبونيميا تعني دراسة الأعلام الأماكنية التي يرتبط بها الإنسان كفرد أو جماعة بمكان معين تنشأ معه الحاجة على إطلاق أوصاف أسماء على الأماكن بالسكن أو الارتياد أو بالفكر والخيال وهو بذلك يثبت وجوده في المكان ويعبر عن تملكه له وتحكمه فيه لذلك فهو يعطي له قيمة بإطلاق العلم عليه وتعتبر الإمكانية من بين علوم متعددة الاختصاصات ولها علاقة وطيدة بالعلوم الأخرى وهي بمثابة علوم مساعدة لها2.

إن هذه المفاهيم لم تخرج عن كونها وصفا للمؤرخ الرحالة الذي يلعب دور الأديب و الأنثروبولوجي و الاثنوجرافي والطوبونيمي خلال تفقده للبلدان والأماكن ووصفه لمختلف المشاهد والعادات التي أثارت انتباهه وصفا تصويريا معمقا بأسلوب تعبيري يرتكز الفنية ناقلا المحسوس و الموجود في تقديم عرضه الرحلي متبعا خصائص علمية تبدأ من الملاحظة القائمة على التعرف على

[1] حسين محمد فهيم- ادب الرحلات- ص 44

[2] اد سهام موساوي- مشروع المعجم الرقمي الطبونيمي- جسور المعرفة مجلد 7- عدد4 ص 439-447

صفات ما يتم درسه أو تقديمه ثم إتباع العملية القائمة على فهم الظواهر المتكررة وتحديد ما يختلف ويتفق في الصفات ثم الوصف الدقيق لما يراه وتدقيق مختلف البيانات التي ستكون محفوظة مراعية أن تكون مطابقة للواقع الذي شمله الوصف وصولا إلى آخر مرحلة أين يتم جمع المعلومات وربطها بعضها ببعض وتحقيق الانسجام والتآلف بينها خاصة أمام زخم كبير من المعرفة التي نالها الباحث الرحالة في رحلة اكتشافه بدأ من دراسته الوصفية لأسلوب حياة الشعوب التي زارها وعاداتها وتقاليدها ومأكلها ومشربها إلى دراسة الإمكانية التي يرتبط بها الإنسان مثل السكن.الا انه إسماعيل العربي قد ا فرق بين الرحال والجغرافي في كون الرحال حر في وصفه غير مقيد بأنظمة وقسمها الى أنواع بناء على اغراضها فمنها من كانت مغامرة ومنها لطلب العلم وغيرها للتجارة ومنها من جمعت العلم والتجارة وذلك يعود لذكاء الرحال

وما هو ملاحظ أن جل الرحالة القدامى جمعوا مادتهم ودونوها على أساس منهجي مشابه لما هو متعارف عليه في ميدان الأنثروبولوجيا والأمثلة العديدة ولنكشف بالإشارة إلى دراسة إسماعيل العربي لعدة رحلات نذكر من بينها رحلة ابن بطوطة الذي وصف أحداث رحلته وصفا لا يخلو من الأدبية والأنثروبولوجي كوصفه للمراكب الصينية وصفا يعتبر وثيقة لا نظير لها في الأدب الجغرافي وهو ينطوي على تصوير فتوغرافية دقة لاستيعاب تفاصيل يحتاج تسجيلها في الحال إلى قوة الملاحظة وذاكرة قوية إذ يقول:

"وبحر الصين لا يسافر فيه إلا بمراكب الصين , ولنذكر ترتيبها: ومراكب الصين ثلاثة أصناف, الكبار منها تسمى الجنوك (واحدها جنك) والمتوسطة تسمى الزو, والصغار منها يسمى أحدها الككم, ويكون في الكبير منها اثنا عشر قلعا, فما دونه إلى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر, لاتحط أبدا, ويديرونها بحسب دوران الريح, وإذا أرسوها تركوها واقفة في مهب الريح, ويخدم المركب منها ألف رجل, منهم البحرية ستمائة, ومنهم أربعا مئة من المقاتلة, تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق, والجرخية, وهم الذين يرمون بالنفط, ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي. ولا تضع هذه المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان1.

[1] ينظر تاريخ الرحلة والاستكشاف مصدر سابق، ص 69

وبالتالي يترابط أدب الرحلة وعلم الأنثروبولوجيا والأثنوجرافيا والطوبونيميا لإثراء تفاهمنا لثقافات المختلفة وعمق فهمنا لتنوع الثقافي.